علم السحر

بين

المسلمين وأهل الكتاب

أحمد حجازى السقا

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية

علم السحر

علم السحر
بين
المسلمين وأهل الكتاب

الدكتور أحمد حجازى السقا
قسم الدعوة والثقافة الإسلامية
كلية أصول الدين - جامعة الأزهر

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
١٤ ميدان العتبة . ت : ٩٢٢٦٢٠

مكتبة الثقافة الدينية

لصاحبها : أحمد أنسى عبد المجيد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

﴿ الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، إياك نعبد وإياك نستعين ، اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين انعمت عليهم ، غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾

والصلاة والسلام على النبى الأمى الكريم ، الذى أرسله الله رحمة للعالمين ، وعلى الرسل السابقين ، والتابعين لهم بخير إلى يوم الدين .

أمـا بعـد

فقد قرأت فى كتاب « تذكرة داود الإنطاكى » المطبوع فى مصر سنة ١٣٠٢ من الهجرة ما نصه :

« عن ذى النون المصرى ، عن البهلول عن الحلاج ، عن عبد الله بن هلال : تأخذ قصبة جذيدة بنت سنتها . اذا نزلت الشمس فى برج الحمل ، وعطارد بالميزان ، ثم عد من أصل القصبة الى فوق سبع عقد ، وتقطع من أول الثامنة ، وانت ملتفت الى جهة الشرق وتقول عند القطع : محب . لخمسطين . اسهلا انوش ، الحدوة الى سخونيا ، واكتب هذه الاسماء بدم نسر ، فى جلد غزال ، وبدم عقاب ، وتبخر بعود هندى ، واصل اليبروج والعنمى ، والمسطكى . ثم اطو الجلد ، وشمعه بشمع ابيض ، معجون بمسك وكافور ، وهذه الاسماء التى تكتب بدم النسر : طلشح . بهطس . لحطاساس . كلسكح . معطه . سلح طلمعصلوا . اططلس . مهطس .

ثم تأخذ عودا من شجرة ابراهيم ، او من شجرة النور ، او من عود اليسر . ثم احفر فى رأسه حفرة ، واكتب هذه الاسماء فى رق غزال بمسك وزعفران . ثم توضع فى الحفرة ، وشمع عليها وهى هذه : مططهلس . هشلوس . مصلطع . ملشك . هملج هلطمس . ملحح هيرم .

مـ ٩٩ ـه مـــه مامه مه مـــه

مـــــه

ثم تأخذ سبعة ألوان من الحرير المحلول ، وتعطيه لسبع جوارى ابكار ، مختلفات الالوان تغزل كل واحد منهن لونا وتعمله فى راس الفرس . وفى رأس الفرس ، وفى رأس المفرعة سوطا مضنفورا مثلثا فى سبع عقد . يكون ذلك حاضرا عندك ثم تأخذ عصابة حرير وتكتب عليها هذه الاسماء بمسك وزعفران وارفعها عندك . وهذا الذى تكتب : سلح . لحج مريدع . بارمشيشا . ياقوطس . يايا هطقح . هو مشتح . هو معطوس .

فاذا اردت العمل بهذه الصفة فاصعد على جبل عال من الارض بعد رقدة من الليل ويكون معك مجمرة جديدة ، وفحم ، وحطب كرم أبين ، وبخر بعود ومصطكى ، ومشخاطر ، واصل اليبروح ، ثم اركب القصبة ، واعصب عينيك بالعصابة ، وتكلم بالعزيمة سبعين مرة . ثم اضرب القصبة بالمقرعة ، وضم رجليك عليها . وقل : بحق هذه الاسماء العظيمة : احملونى الى البلد الفلانية . فانك تجد ما تطلب .

وهذه هى العزيمة : بحج . هلمنح . بوه ياه . يدح . لوهلج . ياد . محلفا ياشمخنا . ياجحفشا . يا قطروش . يابطيطش . ياملطيولس . نشطيطس . لمحش مسطيطلولوح . ياهيا شراهيا

ادوناى اصباوت . آل شداى . هومسنبحينيا . الذى لا يحول ولا يزول . العجل . العجل . الساعة . الساعة . بحق هذه الاسماء ارفعونى من هذا المكان الى المكان الفلانى فى هذا الوقت والساعة . ثم اضرب المقرعة ، فانك ترفع عن الارض ، وتطير فى الهواء[1] » .

... ...

قرأت ذلك الكلام وأنا فى الثانية عشرة من العمر . وطلبت التفسير بعد سنوات من أبى يرحمه الله تعالى فاخبرنى : انه لما نزل القرآن الكريم ، اراد اليهود تحريفه كما حرفوا التوراة من قبل. ولما لم يستطيعوا لأن الناس يحفظونه فى صدورهم ، ويكتبونه . لجأوا إلى تحريف معانيه . إما بوضع كلام كاذب يضاد القرآن فى المعنى ينسبونه إلى رسول الله ﷺ أو إلى المشاهير من عظماء المسلمين . وإما بتفسير بعض آياته تفسيرا ملتويا غامضا . وفوق ذلك بُدأوا يؤلفون الكتب التى تشغل المسلمين عن أسباب العز والرفعة وتصرفهم عن العلم النافع ، والعمل المفيد . كتذكرة داود الإنطاكى الضرير . وابى معشر الفلكى . والطب الروحانى فى الجسم الانسانى والرحمة فى الطب والحكمة وأوهموا الناس : ان ذلك من العلم النافع ، والعمل المفيد . وغرضهم من ذلك كله : ضياع الإسلام والمسلمون منشغلون بالتافه من الأمور .

وقال غيرى : إذا كان هذا كذب على الله ورسوله . فلماذا يطبعه المسلمون فى مطابعهم ويتداولونه فيما بينهم ؟ فأجاب قائلا : ان علماء اليهود يعيشون بين المسلمين[1] ويتزيون بزى العلماء كما قال تعالى«واذا

(١) صفحة ٦٥ - ٦٦ تذكره داود الانطاكى . وبهامشه : بقية النزهة المبهجة فى تشحيذ الاذهان وتعديل الأمزجة للمؤلف . وذيل التذكرة لبعض تلاميذ الشيخ داود الانطاكى .

(١) كان ذلك سنة ١٩٥٢م

جاءوكم قالوا آمنا . وقد دخلوا بالكفر . وهم قد خرجوا به » ويروجون لهذه الكتب . فلذلك يرغب الناس فيها . ويلبى أصحاب المطابع رغبتهم لرغبتهم فى المال من جهة ، وربما لاعتقادهم فى قيمتها من جهة اخرى .

قال : وما موقف علماء الإسلام من هذه الكتب ؟ فأجاب بقوله : يرحم الله فريقا منهم ما كانوا يؤمنون بالسحر ، ولا يقرون به . . وهم أهل الحق والعدل اصحاب واصل بن عطاء ـ طيب الله ثراه ـ وفريق قد التبس عليهم الامر حتى انهم لا يعرفون تماما ما إذا كان السحر ينفع أم لا ؟ له تأثيرا أم لا تأثير له ؟ ولما عجزوا قالوا : إن السحر لا يؤثر بذاته ، وإنما المؤثر هو الله تعالى فإنه يخلق النفع أو الضرر عقب كلام الساحر . وهم واهمون فى ذلك لأنه « لا يفلح الساحر حيث أتى »[٢] كما صرح القرآن الكريم فى سورة طه . ولأنه إذا أراد الله أن يضر أحدا فإنه سيضره سواء عمل سحر له أم لم يعمل . فما فائدة عمل السحر إذاً ؟ وإذا أراد الله أن ينفع أحدا فإنه سينفعه . سواء عمل سحر له أم لم يعمل . فما فائدة عمل السحر إذاً ؟ .

وقال آخر : هل جرب أحد ما فى تذكرة داود وغيره واصابت تجربته ؟ قال : كلا . من يقرأ يفرح ، ومن يجرب يحزن . قال : الذين جربوا ألم يستفيدوا شيئا ؟ قال : لا : إلا سخرية العقلاء من الناس بهم لعلمهم أنهم محتالون وكاذبون . قلت : فما بال بعضهم غنيا ذا أموال وفيرة ؟ قال : ذلك أكل أموال الناس بالباطل كالسحت الذى كان يأكله علماء بنى إسرائيل وعامتهم . ألم تقرأ أن النبى إبراهيم عليه

---

(٢) أى : لا يفور ، ولا ينجو حيث أتى من الأرض وقيل حيث احتال (تفسير القرطبى) وفى تفسير الكشاف حيث أتى ، كقولهم حيث سير ، وأية سلك وأينما كان

السلام قال لله عز وجل : ﴿ وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر ﴾ فرد الله عليه بأنه سيرزق من آمن ومن كفر أيضا فى هذه الحياة الدنيا غير أن الكافر لا رزق له طيب فى الآخرة « قال : ومن كفر » وإن صنيع هؤلاء من حرث الدنيا وما لهم فى الآخرة من نصيب .

وسمعت الذى يقول : إننا نسمع أن كثيرا من الناس تذهب أوجاعهم على أيدى السحرة هؤلاء . وذهاب أوجاعهم دليل على صحة ما عندهم من العلم . قال : ان الإنسان منا لو سمع كلمة طيبة سر بها . وإذا سمع كلمة سيئة قنط منها . والإنسان منا ميال بطبعه إلى التدين ، والتصديق بالغيب . وإذا ما اعتقد الصلاح فى شىء صدقه . إلى أن يقوم الدليل على فساد ذلك الشىء فيمقته . ولمدة طويلة من الزمان ينتقل السحر من جيل إلى جيل حتى أن العوام كانوا ينسبون عجائب الطبيعة إلى قوى غيبية لا تقع تحت الحس . وما لا يقع تحت الحس فى نظرهم يسمونه سحراً . ولذلك قد اجمع العوام من الناس على قيمة السحر من زمان طويل فكان المريض يذهب الى من يعتقد فيه القدرة على الشفاء . فيسمعه كلاما طيبا ، ويريه عجائب ينخدع بها . وعندئذ يزول عنه الوهم ، ويعتقد أنه أصبح سليما معافى . وما كان من قبل مريضا بل واهما . وما كان سقيماً، بل عنده خبل فى العقل ونقص فى الدين .

... ...

وبعد مدة من الزمان . وقد درست كثيرا . أجد ما قال صحيحا تمام الصحة . أجد أن كتب السحر المتداولة من اختراع اليهود أنفسهم وأنهم ألفوا كتاب « التلمود » زمن عيسى عليه السلام ووضعوا فيه قصصا تحبب فى السحر ، وتغرى الناس بتعلمه ، والاعتقاد فيه . ونسبوا كثيرا من أعمال الانبياء الكرام إلى السحر ، وأهانوا الأنبياء عليهم السلام بتلك النسبة ، لأن معجزاتهم بإذن الله وحده ، لا

بتعلمهم السحر ولا باستعمالهم له . وأجد ان كتب السحر كتب عديمة القيمة لا تنفع ولا تضر . والمشتغلون بها يقضون أوقاتهم عبثا ، ويضيعونها سدى . وأجد أن علم السحر لا أصل له ولا قواعد له . ولم يعترف القرآن الكريم بأصول للسحر ولا قواعد ، وإنما اعترف بأن الشياطين تضل بنى آدم إن استطاعوا . والعلاج من الشياطين يكون : بالصبر والصلاة .

لقد بين القرآن أن سحر « هاروت » و « ماروت » إشاعة ثم نفاها ، وبين أن سحر آل فرعون قد كان خيالا . أى أن السحرة كانوا يرمون عصيهم وحبالهم فلا تنقلب ثعابين من لحم ودم . بل يخيل للرائى أنها كذلك . وأما عصا موسى فقد كانت تنقلب ثعبانا من لحم ودم على الحقيقة . ولذلك قال السحرة : ﴿ **آمنا برب هارون وموسى** ﴾ وأجد كثيرين من علماء المسلمين القدامى يصرحون بذم السحر . أذكر منهم الغزالى المتوفى سنة ٥٠٥هـ يقول فى كتابه إحياء علوم الدين ما نصه : « وأما المذموم منه - اى من العلوم - فعلم السحر والطلمسات . وعلم الشعبذة . . . . . والتلبيسات [١] » . وابو الريحان محمد بن احمد البيرونى المولود ٣٩٣هـ - ٩٧٣م والمتوفى ٤٦٨هـ - ١٠٤٨م يرى رحمه الله « ان السحر يراد به : إيهام الرائى بطريق الخداع : أن الشى يبدو مخالفا لما هو عليه فى الواقع . والسحر بهذا المعنى منتشر بين الناس إلا أننا إذا فهمنا السحر كما تفهمه العامة من أنه : إيجاد شيء مستحيل فإنه بهذا المعنى لا يقع فى دائرة الحقيقة . لأنه لا يمكن إيجاد المستحيل . ولذلك كان الأمر ضرباً من الخداع والتدجيل . والسحر بهذا المعنى لا يمت بأية صلة للعلم[٢] » ويرى

---

(١) صفحة ٢٨ الجزء الاول - احياء علوم الدين - طبعة دار الشعب بمصر .

(٢) كتاب : تحقيق ما للهند (ترجمة ادوارد . س . سخاو . لندن ١٨٧٩) صفحة ٢٤ من رسالة اليونسكو . العدد ١٥٧ يوليو ١٩٧٤م - الطبعة العربية .

البيرونى « أن فن المنجم مبنى بوجه عام على أسس واهية واستنتاجاته لا يعتد بها ، وحساباته مضطربة ، وأغلبها مبنى على الظن لا على العلم اليقينى[٣] » .

... ...

وإنى لأعجب من أمور المسلمين اليوم . كيف يعتقدون فى السحر . والسحرة لا يستطيعون نفع أنفسهم ولا نفع أمتهم . لماذا لا يسخر السحرة من المسلمين الجن فى طرد بنى اسرائيل من بلاد المسلمين إن كانوا صادقين ؟ ولماذا لا يعقلون أكاذيب بنى إسرائيل فى عصرنا هذا ؟ إنه بالرغم من حيلهم فى السحر وترويجهم له لم يستطيعوا ان يدرؤا عن أنفسهم عار الهزيمة سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة والف من الميلاد . ولن يستطيعوا ان يدرؤا عن أنفسهم الهزائم المتتالية لا بالسحر ولا بغيره من وسائل الدجل .

وكيف يعتقد المسلمون فى السحر والنبى ﷺ لم يأمر بالاعتقاد فيه ؟ وهو نفسه قد كان فى حاجة اليه يوم بدأ دعوته . لقد كان له معارضون يخطئهم العد كشعر الرأس . فلو كان السحر ينفع لأمال عقول المعارضين به إليه . وهو لم يفعل لان السحر لا تأثير له أصلا .

وكيف يعتقد المسلمون فى السحر ولم تنزل أصوله فى القرآن . ولا فى الكتب السماوية من قبل ؟ إن الله بالناس لرءوف رحيم ، وهو لم يفرط فى الكتاب من شىء . . وإن السحر لو كان له تأثير فى جلب منفعة أو دفع مضرة لكان نزوله فى القرآن أمرا غير بعيد الاحتمال . فلماذا لم تنزل أصوله وقواعدة ؟

... ...

---

(٣) مقالة فى تصحيح الطول والعرض لمساكن المعمور من الارض . نقلا عن ص ٢٦ من رساله اليونسكو العدد ١٥٧

ان هدفى من هذا الكتاب كما هو واضح أوجزه فيما يلى :

أولا : تحذير الناس من النصابين والكذابين أدعياء السحر ، ناصحا لهم وللناس جميعا : أن يؤمنوا بالله وحده . ويتمسكوا بشريعته . وهو وحده يحفظهم من المكاره ويدفع عنهم السوء ويصرف عنه الشر ، ويبعد عنهم الأذى ويكبت اعداءهم ويخزى مبغضيهم .

ثانيا : إرشاد الحكومات الإسلامية أن تصادر كتب السحر وتمنع تداولها بين الناس . وتعاقب السحرة بعقوبة التعزير المنصوص عليها فى الفقه الإسلامى .

ثالثا : لفت نظر علماء المسلمين بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء أن يؤدوا الأمانة التى شرفهم الله بها ووعدهم إن فعلوا حسن الثواب عليها . ألفت نظرهم أن يصبروا فى محاربة السحر وإزالة الوهم من عقول العوام . ويبصرونهم إن مرضوا أن يلجأوا إلى أهل الذكر ، وهم أهل الطب المتخرجون من الجامعات فإن الله جعلهم هم وحدهم سببا لعلاج الأجسام كما جعل العلماء سببا لعلاج النفوس .

والله ولى التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل . ولنقل جميعا بكرة وعشيا :

« الذى خلقنى فهو يهدين . والذى هو يطعمنى ويسقين . وإذا مرضت فهو يشفين . والذي يميتنى ثم يحيين . والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين . رب هب لى حكما وألحقنى بالصالحين . واجعل لى لسان صدق فى الآخرين . واجعلنى من ورثة جنة النعيم . واغفر لأبى إنه كان من الضالين . ولا تخزنى يوم يبعثون . يوم لا ينفع مال ولا بنون . الا من أتى الله بقلب سليم »

أحمد حجازى أحمد السقا

الفصل الأول

نفى القرآن للسحر

ليس فى القرآن إشارة إلى أصول لعلم السحر وقواعده . وليس فى القرآن إشارة إلى وسائل للسحر تقدر النفوس البشرية بها على التأثير فى عالم العناصر بغير آلة ولا معين ، أو بمعين من مزاج الأفلاك أو العناصر ، أو خواص الأعداد[1] ،أو بعض الموجودات أو تأثير النفوس فى القوى المتخيلة بإلقاء أنواع من الخيالات والمحاكاة والصور فيها ، حتى ترى كأنها واقعية .

(وإنما الذى فى القرآن عن السحر الذى يقولون إنه يؤثر : إشاعة أشاعها بنو إسرائيل زمن وجودهم فى بابل من سنة ٥٨٦ قبل الميلاد ، إشاعة أشاعها بنو إسرائيل ويكذبها القرآن وينفيها .)

ومن غريب الأمر : أن كثيرين من المسلمين لم يلتفتوا إلى أن

---

(١) حساب : أبجد - هوز . . . الخ ولمزيد من البيان : انظر مقدمة ابن خلدون ويسمى حساب الجمل وهو هكذا : ابجد - هوز - حطى - كلمن - سعفص - قرشت - (ثخذ ضظغ) أ = ١ب = ٢ج = ٣د = ٤ ، هـ = ٥ ،و = ٦ز = ٧ح = ٨ط = ٩ى = ١٠ك = ٢٠ل = ٣٠م = ٤٠ن = ٥٠س = ٦٠ع = ٧٠ف = ٨٠س = ٩٠ق = ١٠٠ر = ٢٠٠ش = ٣٠٠ت = ٤٠٠ث = ٥٠٠خ = ٦٠٠ذ = ٧٠٠ض = ٨٠٠ظ = ٩٠٠غ = ١٠٠٠ ولاحظ أن الحروف خالية من (ثخذ - ضظغ) وهذا هو الحساب عند اليهود العبرانيين . اما الحساب عند اليهود السامريين فمختلف وقد ذكرناه فى غير هذا الكتاب والمشهور فى كتب السحر طريقة العبرانيين

قصة هاروت وماروت إشاعة . فادعوا أن القرآن يثبت السحر بقصة هاروت وماروت ولا ينفيه . وكان من الواجب عليهم قبل أن يخوضوا فى هذا الموضوع أن يطلعوا على كتب أهل الكتاب بأعينهم ليروا ما عندهم من العلم .

زعم بنو إسرائيل أن للسحر حقيقة ، ولعلم السحر أصول وقواعد وادعوا أن هاروت وماروت ، ملكين من ملائكة السماء نزلا من السماء وعلما أصول السحر وقواعده . وألفوا كتاب التلمود لهذا الغرض ، وكتبوا فيه كثيرا من القصص التى تحبب فى السحر ، وتدعو إلى الاعتقاد فيه . ثم الفوا من بعده كتبا أخرى . كانت منتشرة فى زمن عيسى عليه السلام ، مثل انتشار كتب السحر فى عصرنا هذا .

فتعرض القرآن لهذا الزعم وبين أنه باطل لا أساس له من الصحة وبين الله تعالى أنه نظم العالم على اسباب ومسببات . فلو حصل السبب حصل المسبب ، فمن جد وجد ، ومن زرع حصد ، ولو سعى الناس فى الأرض لرزقهم ، ولو ناموا ما أعطاهم ، ولو حاربوا لانتصروا ولو تكاسلوا لهلكوا . سنة الله فى خلقه ﴿ ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا ﴾ (فاطر ٤٣) .

زعم الفريسيون من اليهود العبرانيين ما معناه[١] : أنه لما كثر الفساد من أولاد آدم عليه السلام وذلك فى زمن إدريس - عليه السلام - عيرتهم الملائكة . فقال الله تعالى : أما إنكم لو كنتم مكانهم ، وركبت فيكم ما ركبت فيهم لعملتم مثل أعمالهم . فقالوا : سبحانك . ما كان ينبغى لنا ذلك . قال : فاختاروا ملكين

---

(١) لن ننقل من التلمود ما يخل بالآداب ، محافظة على الاداب والفريسيون طائفة تدعى الغيرة على الشريعة اليهودية (انظر : تاريخ الاسرائيليين لشاهين مكاريوس) .

من خياركم .

فاختاروا هاروت وماروت فأنزلهما إلى الأرض فركب فيهما الشهوة . فما مر بهما شهر حتى فتنا بامرأة أسمها بالنبطية « بيدخت » وبالفارسية « ناهيل » أو « ناهيد » وبالعربية « الزهرة » اختصمت إليهما وراوداها عن نفسها . فأبت إلا أن يدخلا فى دينها ويشربا الخمر ، ويقتلا النفس التى حرم الله . فأجاباها وشربا الخمر . وألما بها . فرآهما رجل فقتلاه ، وسألتهما عن الاسم الذى يصعدان به الى السماء فعلماها إياه ، فتكلمت به ، فعرجت فمسخت كوكبا .

وزعما أن هاروت وماروت فى بابل كانا يعلمان السحر ، وكانا يقولان لمن جاءهما « إنما نحن فتنة فلا تكفر » فإن أبى أن يرجع قالا له : ائت هذا الرماد فبل فيه . فإذا بال فيه خرج منه نور يسطع إلى السماء وهو الإيمان . ثم يخرج منه دخان أسود فيدخل فى أذنيه وهو الكفر فاذا اخبرهما بما رآه من ذلك علماه ، ما يفرق بين المرء وزوجه ولما دنا أجل هاروت وماروت خيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا . فهما يعذبان ببابل فى سرب فى الأرض .

وقد زعم الفريسيون أن الله تعالى هو الذى اختار هاروت وماروت ، وأنزل عليهما السحر وقد كان يعلم ما يكون من أمرهما كما كان يعلم ما سيكون من آدم عليه السلام فكذب الله هذا الزعم ونفاه بقوله ﴿ وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ﴾ .

وزعموا : أن الله أنزلهما امتحانا واختبارا لإيمان الناس . فمن تعلم للخير نجا ومن تعلم للشر هلك . وأن الملكين حال التعليم يقولان لمن يريد التعلم : « إنما نحن فتنة فلا تكفر » وبهذا القول« إنما نحن فتنة فلا تكفر» يعلمون الراغب ما يفرق بين المرء وزوجه . فكذب الله هذا الزعم ونفاه بقوله : ﴿ وما يعلمان من أحد حتى

يقولا : إنما نحن فتنة فلا تكفر . فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه ﴾ فما نافية ، نفى الله بها تعليم الملكين لأحد . ولما لم يعلما ، فهما لم يقولا : إنما نحن فتنة فلا تكفر . ولما لم يعلما ولم يقولا ، فتعليم ما يفرق بين المرء وزوجه لم يحصل من الملكين .

وهذا مثل قولك لصاحب لك : ١ - ما دخلت المسجد ٢ - حتى تقول إننى صليت ٣ - فتطلب منى أن أدعو لك . إذا كنت لم تدخل ، فليس من الحق أن يقول لك أنت صليت . وحيث لم تصلى فكيف يطلب منك أن تدعو له ؟ فنفيك دخول المسجد ، هو نفى لكل ما ترتب على الدخول ، وكذلك نفى تعليم الملكين لأحد هو نفى لكل ما ترتب على التعليم .

وزعم الفريسيون : ان سليمان عليه السلام كان كافرا ، وأن ملكه كان قائما على السحر ، وكتبوا الكثير عن « آصف بن برخيا » وغيره . فكذب الله هذا الزعم بقوله : ﴿ وما كفر سليمان ﴾ وإنما الكافرون هم الذين زعموا هذا الزعم . وقد لقب الله علماء اليهود بالشياطين لأنهم وشياطين الجن متشابهون فى الهدف .

....

يقول الله تعالى عن بنى اسرائيل :

﴿ ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم ، نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب : الله ، وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون . واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان . ولكن الشياطين كفروا ، يعلمون الناس السحر . وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ، وما يعلمان من أحد حتى يقولا : انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه . وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله . ويتعلمون ما

يضرهم ولا ينفعهم . ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق . ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون ﴾ (البقرة ١٠١ - ١٠٣) .

*** المعنى العام :**

لما ظهر نبى الإسلام ﷺ الذى أرسله الله لجميع الأمم ومعه كتاب يتفق مع ما فى التوراة فى ١ - أن الله واحد لا شريك له ٢ - وأن يوم القيامة حق لا ريب فيه ٣ - وأن الأعمال الصالحة لابد منها فى هذه الحياة الدنيا . لما أتى نبى الإسلام مصدقا لما معهم فى هذه الأصول الثلاثة ، لم يؤمن به بعضهم . وأهملوا التوراة كتاب الله . كأنهم لا يعلمون منها أن النبى حق . وقد جاءهم بالبينات .

ولما أهملوا كتاب التوراة اتبعوا كلام علمائهم الشياطين الذى هو باطل لا أصل له . وخلاصة هذا الكلام : ١ - أن سليمان كان كافرا ٢ - وأن ملكين يسميان : هاروت وماروت قد نزلا من السماء ليعلما السحر فى مدينة بابل بالعراق ٣ - وأن الملكين لم يعلما إلا للاختبار والامتحان ٤ - وأن من يتعلم السحر يستطيع به الضرر .

وقد نفى الله عز وجل هذا الكلام كله . وبين أنه من الخير لهم والثواب أن يتبعوا هذا النبى العظيم ، ولو اتبعوه لسعدوا فى الدنيا والآخرة .

الشرح والبيان

■ المبحث الأول :

النبى مكتوب فى التوراة :

طلب الله عز وجل من موسى عليه السلام وهو فى سيناء : ان يجمع بنى إسرائيل ناحية جبل الطور ليسمعوا الله عز وجل وهو يتكلم مع موسى فيؤمنوا ويعلموا أولادهم . ولما جمعهم موسى لهذا الغرض ظهرت رعود وأصوات شديدة جدا . واضطرم الجبل بدخان ونار . وعندئذ خاف بنو اسرائيل وقالوا لموسى : إذا أراد الله أن يكلمنا بعد ذلك فليكن بواسطتك ونحن نسمع ونطيع . وقال موسى لله هذا القول . فاستجاب لطلبهم ووعدهم بنبى مثل موسى يكلمهم بواسطته عما يريد فى هذا النص : « يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلى . له تسمعون . حسب كل ما طلبت من الرب إلهك فى حوريب - الطور - يوم الاجتماع . قائلا : لا أعود أسمع صوت الرب إلهى ولا أرى هذه النار العظيمة أيضا لئلا أموت . قال لى الرب : قد أحسنوا فى ما تكلموا . أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك ، وأجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى أنا أطالبه واما النبى الذى يطغى فيتكلم باسمى كلاما لم أوصه أن يتكلم به أو الذى يتكلم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبى . وان قلت فى قلبك : كيف نعرف الكلام الذى لم يتكلم به الرب .؟ فما تكلّم به النبى باسم الرب ولم يحدث ولم يصر ، فهو الكلام الذى لم يتكلم به الرب بل بطغيان تكلم به النبى . فلا تخف منه » (التثنية ١٨ : ١٥ - ٢٢)[١] .

وقد نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله ، أى كتاب التوراة وراء ظهورهم ، كأنهم لم يقرأوا هذا النص منه الدال على نبى الاسلام ﷺ فهو من بنى إسماعيل أخو إسحق عليهما السلام ، وهو مثل موسى فى كونه صاحب شريعة مستقلة عنه وحارب أعداءه وانتصر عليهم . ولقد كان أمياً لا يدرى ما الكتاب ولا الإيمان وجعل

(١) النص منقول من ترجمة البروتستانت بمصر سنة ١٩٧٠ م .

الله كلامه فى فمه ، وكان أميناً على الوحى ، وتنبأ بأشياء تحدث مستقبلا . ولم يقتل بيد أعدائه ، وقضى على ملك اليهود فى الأرض . ولم يأت نبى معه هذه الأوصاف غير نبى الإسلام ﷺ ذلك لأن الله اصطفى إبراهيم عليه السلام لهداية أمم الأرض إليه ، وجعل فى ذريته النبوة والكتاب . ففى التوراة أن الله تعالى قال لإبراهيم : « أنا الله القدير . سر أمامى وكن كاملا . فاجعل عهدى بينى وبينك وأكثرك كثيراً جداً » [تك ١٧ : ١ - ٢] وقد تمنى إبراهيم أن يكون إسماعيل ونسله دعاة هادين إلى الله . فقال لله تعالى : « ليت إسماعيل يعيش أمامك » أى أتمنى أن يكون من نسل إسماعيل من يدعو إلى دينك . وقد استجاب الله دعاء إبراهيم وقال له : « وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا . اثنى عشر رئيسا يلد واجعله أمة كبيرة » [تك ١٧ : ١٨ ، ٢٠] ووعد الله إبراهيم بأن يكون من نسل إسحق دعاة إلى دين الله وقال له . عن سارة أم إسحق : « أباركها وأعطيك أيضا منها ابنا ، أباركها فتكون أمما وملوك شعوب منها يكونون » [تك ١٧ : ١٦] .

وملاك الله قابل هاجر وقال لها عن إسماعيل : « لا تخافى . لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو . قومى احملى الغلام وشدى يدك به . لأنى سأجعله أمة عظيمة . وفتح الله عينيها فأبصرت بئر ماء . فذهبت وملأت القربة ماء وسقت الغلام . وكان الله مع الغلام فكبر . وسكن فى البرية . وكان ينمو رامى قوس . وسكن فى برية فاران » [تك ٢١ : ١٧ - ٢١] .

وبدأت بركة إبراهيم فى الأمم بإسحق ، فقد اصطفى الله ابنه يعقوب الذى هو إسرائيل ليقوم نسله بالبركة . وبدأت البركة فى نسل إسحاق بموسى عليه السلام فقد اصطفاه الله على الناس

برسالاته وبكلامه . وقام علماء بنى إسرائيل من بعده بالدعوة إلى الله . وعرفوا الأمم أن العمل بالتوراة واجب شرعى ، إلى أن تنتهى بركة إسحق ، وتبدأ بركة إسماعيل بمحمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم .

وقد أكد على ذلك يعقوب نفسه فى قوله : « لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه ، حتى يأتى شيلون ، وله يكون خضوع شعوب » [تك ٤٩ : ١٠] أى لا يزول الملك من اليهود ، ولا تزول التوراة ، حتى يأتى شيلون . أى نبى السلام ، وحيث لإسماعيل بركة فإن شيلون يكون منه . وقد أكد على ذلك موسى نفسه فى نهاية التوراة فى قوله : « وهذه هى البركة التى بارك بها موسى رجل الله بنى اسرائيل قبل موته . فقال : جاء الرب من سيناء ، وأشرق لهم من سعير ، وتلألأ من جبل فاران ، وأتى من ربوات القدس ، وعن يمينه نار شريعة لهم . فأحب الشعب . جميع قديسيه فى يدك . وهم جالسون عند قدمك يتقبلون من أقوالك » [تث ٣٣ - ٣] ففى هذا النص تقسيم للبركة التى وعد الله بها إبراهيم عليه السلام . والتقسيم هو على سيناء الذى نزلت فيه التوراة على موسى ، وعلى ساعير الذى فسر فيه علماء بنى اسرائيل التوراة . وعلى فاران الذى ينزل فيه القرآن على رجل من آل اسماعيل - الذى قبل الله فيه دعاء إبراهيم بقوله : « وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه » - وإسماعيل المبارك قد سكن فى برية فاران . ومنه يأتى شيلون الذى تخضع له الشعوب وتطيع .

وقد نبه الله تعالى فى التوراة على مجىء محمد رسول الله ﷺ لتتحقق من مجيئه بركة إسماعيل فى الأمم . وأمر بنى اسرائيل أن يسمعوا منه ، ولا يسمعوا من العرافين والسحرة والمنجمين. فى هذا النص :

« متى دخلت الأرض التى يعطيك الرب إلهك . لا تتعلم أن تفعل مثل رجس أولئك الأمم . لا يوجد فيك من يجيز ابنه أو ابنته فى النار ، ولا من يعرف عرافة ولا عائف ولا متفائل ولا ساحر ولا من يرقى رقية ولا من يسأل جانا أو تابعة ولا من يستشير الموتى . لأن كل من يفعل ذلك مكروه عند الرب . وبسبب هذه الأرجاس الرب إلهك طاردهم من أمامك . تكون كاملا لدى الرب إلهك . إن هؤلاء الأمم الذين تخلفهم يسمعون للعائفين والعرافين . وأما أنت فلم يسمح لك الرب إلهك هكذا » .

ثم بين أوصاف محمد ﷺ ، وأوصاهم بالسماع منه عقب هذا النص مباشرة فى قوله :

« يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلى . له تسمعون . . الخ » [تث : ١٨ : ٩ - ٢٢] .

■ المبحث الثانى :

الشياطين :

الشيطان كلمة تطلق على الجن والإنس ، يقول تعالى : ﴿ شياطين الإنس والجن ﴾ (الانعام ١١٢) ويقول تعالى : ﴿ من الجنة والناس ﴾ (الناس ٦) ويقول تعالى : ﴿ وإذا لقوا الذين آمنوا ، قالوا آمنا . وإذا خلوا إلى شياطينهم . قالوا : إنا معكم إنما نحن مستهزؤن ﴾ (البقرة ١٤) أى خلوا إلى علمائهم يقول الإمام محمد بن احمد الأنصارى القرطبى المتوفى سنة ٦٧١هـ فى الجامع لأحكام القرآن . وقيل : المراد : شياطين الإنس المتمردون فى الضلال كقول جرير :

« أيام يدعوننى : الشيطان . من غزلى
وكن يهويننى . إذ كنت شيطانا »

فكلمة الشيطان تطلق حقيقة على الشيطان الذى هو من الجن . وتطلق مجازا على الفاسد من بنى آدم . والشيطان فى الآية مجاز عن علماء بنى إسرائيل .

■ المبحث الثالث :

سبب الكلام :

ان بنى اسرائيل سكنوا الارض المقدسة التى هى فلسطين وما حولها من القرى . فى عهد داود وسليمان عليهما السلام . وفى سنة ٥٨٦م . أتاهم ملك « بابل » المسمى : نبوخذ ناصر واحرق هيكل سليمان وقتل منهم الكثير . وأخذ أعيانهم ورؤسائهم أسرى إلى بابل وترك المزارعين حيث هم ، وفى مدينة بابل على ضفاف نهرى دجلة والفرات احترف هؤلاء الاعيان والرؤساء حرفا تساعدهم على العيش وفريق من العلماء لجأوا الى طريقة سهلة ميسرة فى كسب المال . وهى أنهم ادعوا انهم يستطيعون السحر وأشاعوا فى الناس هذا القول . فقال الناس لهم : ليس السحر فى كتاب موسى . فمن أين جاءكم ؟ وقالوا للإمعان فى التمويه عليهم والتضليل : حقا ليس السحر فى كتاب موسى . لكن الله لحبه لنا وإكرامه إيانا ؛ انزل علينا ملكين من السماء . لان هذا العلم مقدس ومكرم . وهذا العلم ليس جديدا علينا فقد كان سليمان النبى يعرفه ويستخدمه فى توطيد ملكه وليت سليمان اقتصر على الانتفاع به ، بل تعدى دائرة الانتفاع الى الضرر . فلذلك كان كافرا . ولو قد استعمله فى الخير ما كفر .

■ المبحث الرابع :

رد الله عليهم :

ظلت هذه الاشاعة متداولة ومشتهرة بين الناس يتلقونها

ويصدقونها إلى أن جاء القرآن الكريم سنة ٦١٠ بعد الميلاد أى بعد ألف ومائتين من السنين تقريبا ونفى هذه الإشاعة نفيا قاطعا فى أربع جمل كل جملة بدأت بما النافية ١ - ما كفر سليمان ٢ - وما أنزل على الملكين ٣ - ما يعلّمان ٤ - وما هم بضارين .

■ المبحث الخامس :

اعراب « ما » فى قوله « ماتتلو »

أ - إما أن تكون مصدرية وهى و (تتلوا مصدر مؤول ، ينقلب إلى مصدر صريح . فيكون المعنى : واتبعوا تلاوة الشياطين فى ملك سليمان . أى فى قصصه وصفاته واخباره .

ب - وإما أن تكون موصولة بمعنى الذى . ويكون المعنى : واتبعو الذى تتلوه الشياطين والشياطين هم العلماء على المعنيين .

■ المبحث السادس :

اعراب «ما » فى قوله « وما كفر سليمان » :

ما : نافية ، قولا واحدا . والمعنى : لم يكفر سليمان . وإنما الذين كفروا هم الربانيون والأحبار ، شياطين الإنس الذين أشاعوا هذا القول ، وبدأوا من ذلك الحين يعلمون الناس السحر . ولا يعلمونهم شريعة التوراة . التى قصروها على جنسهم واستبعدوا الأمم من الدخول فى دينهم ، بالرغم مما هو مكتوب فيها « مثلكم يكون مثل الغريب امام الرب . شريعة واحدة . وحكم واحد » (العدد ١٥ : ٥ - ١٦) وقد بين الله تعالى أن سليمان لم يكن يستخدم الجن بوسائل السحر ، بل لأن الله أمرهم ان يطيعوه فى قوله : ﴿ ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ﴾ (سبأ ١٢) .

■ المبحث السابع

(٧) إعراب « ما » فى قوله : « وما أنزل على الملكين ببابل هروت وماروت » :

أ - « ما » نافية . والمعنى : لم ينزل على الملكين شىء وهى جملة معطوفة على ﴿ وما كفر سليمان ﴾ يقول الامام القرطبى: قوله تعالى ﴿ وما أنزل على الملكين ﴾ ما نفى والواو للعطف على قوله : ﴿ وما كفر سليمان ﴾ .

ب - انها موصوله يقول الامام محمود بن عمر الزمخشرى المتوفى ٥٣٨هـ فى الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل فى وجوه التأويل : ١ - ﴿ وما أنزل على الملكين ﴾ عطف على السحر اى ويعلمونهم ما أنزل على الملكين . ٢ - وقيل هو عطف على ما تقولوه اى واتبعوا ما أنزل وقد رده القرطبى بقوله ان ما للنفى . ويؤكد رده بقوله : « هذا أولى ما حملت عليه الآية من التأويل ، واصح ما قيل فيها ولا يلتفت الى سواه » وفى تفسير الإمام ابن كثير ما نصه : روى ابن جرير بإسناده من طريق العوفى عن ابن عباس فى قوله ﴿ وما أنزل على الملكين ببابل ﴾ الآيةيقول : لم ينزل الله السحر ، وبإسناده عن الربيع بن أنس فى قوله : ﴿ وما أنزل على الملكين ﴾ قال : « ما أنزل الله عليهما السحر » . ونقول لصاحب الكشاف :

لماذا لم تتحدث عن « ما » فى الجملتين الأخيرتين ، جملة « وما يعلمان » وجملة « وما هم بضارين ؟ » وكيف تجيز عطف « ما أنزل » على « ما تتلو » وبينهما جملة « ما كفر » وهى نافية باتفاق ؟ ينبغى ان تكون « ما أنزل » معطوفة على « ما كفر » لتجاورهما من جهة ، ولعدم التضاد فى المعنى من جهة أخرى . ولا يمكن أن تكون « وما

كفر » جملة معترضة يمكن التجاوز عنها . لأن الجملة المعترضة إذا حذفت من الكلام لا يختل المعنى ولا يفسد . أما هذه الجملة فإنها لو كانت لم تذكر لبقيت اشاعة كفر سليمان قائمة وهى متصلة بموضوع السحر . ولماذا لا تكون الواو . واو الحال فى « وما كفر » وتكون الواو فى « وما أنزل » للعطف ؟والمعنى: اتبعوا تلاوة علماء السوء على ملك سليمان . والحال إن سليمان لم يكن كافرا ، ولم ينزل على الملكين شيء وإن تكريم الله لسليمان لا يقل عن تكريمه لملائكته ، الذين هم عباد مكرمون ، وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون . والمناسب لنفى الريب عن سليمان هو نفسه المناسب لنفى الريب عن الملائكة ؟

■ **المبحث الثامن :**
وما يعلمان . . الخ :

ونقول لصاحب الكشاف هنا : انه لو كانت « ما » موصولة مثل « وما أنزل » فكيف يكون المعنى ؟ لو كانت موصولة لكان المعنى : والذى يعلمان « من » أحد ، وهذا خطأ لوجود « من » وجر « أحد » ولو كانت موصولة لجاءت فى القرآن هكذا : والذى يعلمانه الناس . وهى لم تجىء ، إذن لا بد من القول بأن « ما » هنا : نافية . والمعنى : لم يحدث تعليم من الملكين لأحد من الناس . ولما كانا لم يعلما . فهما لم يقولا : «إنما نحن فتنة فلا تكفر » . فيكون من جراء هذا القول انهم يتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه . اى انه لما نفى إشاعة تعليم الملكين ، نفى ما ترتب على التعليم . كما تقول لصديق : ما دخلت بيتك حتى تقول انى شربت الشاى ، فتثبت مودة بيننا . فنفى الدخول يستتبع ما ترتب عليه من قول وهو شرب الشاى ، وإثبات المودة . وإذا نفى تعليم الملكين فقد نفى نزولهما . وعلى هذا فما يحدث الآن من إشاعات حول كتابة الأحجبة بالحب او

بالكره بالحل او بالربط ، بالنفع او بالضرر . كل ذلك لغو من القول وباطل من العمل . وصنع لا دليل عليه من نقل وعقل . ولا تأثير له مطلقا ولا فائدة فيه .

■ المبحث التاسع :
﴿ وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ﴾ :

« ما » نافية . قولا واحدا . والجملة معطوفة على الجمل السابقات . ولا يمكن ان تكون موصولة لأنها لو كانت موصولة لكان المعنى ؛ والذى يضرون به . وكلمات الجملة لا تؤدى هذا المعنى لوجود الباء ، واسم الفاعل ، ولفظ أحد ، ولما ثبت أنها للنفى ، وما قبلها كذلك . وما كفر أيضا . فإن جملة « وما أنزل » الواقعة ضمن هذه المنفيات لابد وأن تكون منفية ايضا .

ونحن قد وقر فى أذهاننا ان كل شيء مرده إلى الله . سواء كان الفعل قد حصل من الشخص بمحض إرادته أو بغير إرادته . فنحن مثلا حين نأكل أو نشرب نقول اطعمنا الله وسقانا فى حين أننا نحن الذين هممنا بالأكل أو بالشرب . والفعل ينسب إلى الله باعتبار أنه مصدر الكون كله وينسب الى الانسان باعتباره انه هو الذى باشر الفعل بنفسه . فالضرر من الله إذا كان الإنسان ، مستحقا للضرر . هو من الله نفسه . باعتباره أصل كل شيء . وقد بين الله فى كتابه أنه لا يضر إلا من يستحق الضرر فى قوله تعالى : ﴿ من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ﴾ (النحل ٩٧) .

■ المبحث العاشر :
﴿ ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ﴾ .

ثبت بالواقع ان السحرة كاذبون فى أقوالهم وأفعالهم . وهم فى غاية الهم والقلق والسقم والأرق . ولو كان السحر ينفع لاستخدم

الساحر الجن أو الشياطين فى نفع نفسه قبل نفع غيره يستخدمهم ، فى التزوج بمن يشاء من النساء ذوات الجمال والحسب ، ويستخدمهم فى جلب الأموال من البنوك أو من باطن الأرض . وهكذا . ولما لم يثبت هذا يثبت عكسه ، وهو أنهم يموهون على الناس ويخدعونهم . وثبت بالواقع أن كتب السحر مثل كتاب تذكرة داود الإنطاكى وأبو معشر الفلكى والطب الروحانى فى الجسم الإنسانى وغيرهم ،كلها كتب من صنع اليهود كتبوها ليشغلوا بها المسلمين عن القرآن الكريم وعن السعي فى الأرض وعن اتخاذ الاسباب الموصلة إلى التقدم وقد تم لهم ما أرادوا.ففى الفترة الأخيرة من واقع المسلمين آمن الناس بهذا وقعدوا عن السعى فى الأرض ، فحلت بهم هزائم كثيرة وانتابهم ضعف شديد .

■ المبحث الحادى عشر :

﴿ ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق ﴾ :

اشتراه : اختاره وتعامل به وفضله على كتاب الله وقوله فى الجملة التالية ﴿ **ولبئس ما شروا به أنفسهم** ﴾ معناه بئس اختيارهم لأنفسهم لقد اختاروا طريقا يوصلهم الى النار . وقوله ﴿ **ولقد علموا** ﴾ يبين أن المراد بالشياطين فى صدر الآية هم : علماء اليهود والمعنى كما قال الزجاج : « الذين علموا علماء اليهود ولكن قيل : ﴿ **لو كانوا يعلمون** ﴾ أى قد حلوا فى محل من يقال له : لست بعالم لأنهم تركوا العمل بعلمهم[١] » ويقول الزمخشرى : « فإن قلت : كيف اثبت لهم العلم اولا فى قوله ﴿ **ولقد علموا** ﴾ على سبيل التوكيد القسمى . ثم نفاه عنهم فى قوله ﴿ **لو كانوا يعلمون** ﴾ ؟ قلت : معناه : لو كانوا يعملون بعلمهم . جعلهم حين لم يعملوا به

---

(١) الجامع لاحكام القرآن الجزء الثانى صفحة٥٦ طبعة دار الكتب بمصر .

كأنهم منسلخون عنه[1] » .

وبالرجوع الى التوراة وجدنا حقا - أنهم يعرفون ان السحر محرم إذ يقول الله لهم : « متى دخلت الأرض التى يعطيك الرب إلهك . لا تتعلم أن تفعل مثل رجس اولئك الامم . لا يوجد فيك من يجيز ابنه او ابنته فى النار ولا من يعرف عرافة ولا عائف ولا متفائل ولا ساحر ولا من يرقى رقية ولا من يسأل جانا أو تابعة ولا من يستشير الموتى لأن كل من يفعل ذلك مكروه عند الرب إلهك ، وبسبب هذه الأرجاس الرب إلهك طاردهم من أمامك . تكون كاملا لدى الرب إلهك . إن هؤلاء الأمم الذين تخلفهم يسمعون للعائفين والعرافين . وأما أنت فلم يسمح لك الرب إلهك هكذا » (التثنية ١٨ : ٩ - ١٤) ويأمرهم الله تعالى فى التوراة بقتل الساحرة فيقول : « لا تدع ساحرة تعيش » (خروج ٢٢ : ١٨[2]) ب - واما عن سحر موسى عليه السلام فهم متأكدون أنه سحر على الحقيقة . أى أن موسى كان يرمى العصا فتصير ثعبانا من لحم ودم . ففى التوراة : « دخل موسى وهارون على فرعون وفعلا هكذا كما أمر الرب . طرح هارون عصاه أمام فرعون وأمام عبيده فصارت ثعبانا » (خروج ٧ : ١٠) .

وفى القرآن الكريم ان سحر موسى عليه السلام كان حقيقيا وأن سحر سحرة آل فرعون كان كصنعة الحواة وخفيفى اليد ، قائم على التمويه بالحيل والتخاييل وهو ان يفعل الساحر أشياء ومعانى فيخيل للمسحور أنها بخلاف ما هى به . كالذى يرى السراب من بعيد

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل الجزء الاول صفحه ٢٣١ طبعة الحلبى بمصر .

(٢) النص منقول من التوراة العبرية طبعة سنة ١٩٧٠ م بمصر ويمكنك الحصول عليها من مكتباتهم وكنائسهم أطلب « الكتاب المقدس » العهد القديم والجديد .

فيخيل إليه إنه ماء ، وكراكب السفينة السائرة سيرا حثيثا يخيل إليه ان ما يرى من الاشجار والجبال سائرة معه يقول تعالى ﴿ قالوا يا موسى : إما أن تلقى ، وإما أن نكون أول من ألقى . قال : بل ألقوا فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم : أنها تسعى . فأوجس فى نفسه خيفه : موسى قلنا : لا تخف انك أنت الأعلى وألقى ما فى يمينك تلقف : ما صنعوا . إنما صنعوا : كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى ، فالقى السحرة سجدا . قالوا : آمنا برب هرون وموسى ﴾ (طه ٦٥ - ٦٧) .

وقد أشاع اليهود ان السحر موجود فى القرآن بدليل : ﴿ ومن شر النفاثات فى العقد ﴾ (الفلق ٤) وقد تصدى لهذه الإشاعة الراسخون فى العلم من المسلمين ، ونفوها نفياً قاطعاً ، ولم يتعرض اكثرهم لذكراشاعتهم فى كتب التفسير وهى اشاعتهم عن النبى ﷺ منهم الامام محمود بن عمر الزمخشرى الذى يقول فى تفسير الآية السابقة « يجوز ان يراد بهن النساء الكيادات من قوله ﴿ ان كيدكن عظيم ﴾ تشبيها لكيدهن بالسحر والنفث فى العقد او اللاتى يفتن الرجال بتعرضهن لهن وعرضهن محاسنهن كأنهن يسحرنهم بذلك[١] » وأقول : إن قوله هذا هو الحق الذى لا ريب فيه . وهو تعبير كنائى جاءت له شواهد فى لغة العرب . يقول عمر بن أبى ربيعة الشاعر الأموى المشهـــور :

ليت هندا انجزتنا ما تعد	وشفت أنفسنا مما نجد
واستبدت مرة واحـــدة	إنما العاجز من لا يستبد
خبـرونى أنهـا لى نفـثت	عقد يا حبذا تلك العقد

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل الجزء الثالث صفحه ٣٦٩

■ المبحث الثانى عشر :

سحــرة اليـــوم :

سحرة اليوم يعيشون على النصب والاحتيال . ذلك أنهم يستغلون سذاجة العوام ويتقننون الكذب عليهم حتى يخيل إليهم أن الوهم حقيقة . كما يقول الشاعر :

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه .. وصـدق ما يعتـاده من توهـم

يدخل العامى الغبى مثلا على الساحر ويقول له : لا أستطيع قرب زوجتى . وقد بلغنى أنك تجيد عملك فأنقذنى . وإن الساحر ليعلم أن العامى ليس عاجزا عن قرب الزوجة ويعلم أن السبب المباشر فى ذلك الوقت هو :

١ - قد يكون هذا العامى منهك القوى ليلة الزفاف بسبب الاستعداد للحفل ودعوة الناس له وسهره الطويل وتفكيره المضنى .

٢ - قد يكون هذا العامى متزوجا رغم أنفه . قال له أبوه أو أمه مثلا : إن لم تتزوج هذه فلن نعطيك زوجة أخرى وإنها سترث مالا وفيرا . أو ستعمل معك فى الحقل أو ستخدمنا فى المنزل . . . الخ وقد يضطر العامى إلى هذه الزوجه التى هو لا يحبها أصلا ولا يستسيغها ثم يدخل عليها فتعرض نفسه عنها .

٣ - قد يكون هذا العامى خجولا بطبعه حييا . وقد تكون امرأته كذلك . فيستحيان خاصة إذا كانت الزوجة قريبة له قرابة قريبة .

٤ - قد يكون فى ذلك الوقت بالذات غير تواق إلى اللذة فيمتنع عن مضاجعة المرأة . كما يشتهى الإنسان منا الطعام فى وقت دون آخر . وقد يشتهى الكراث بالذات فى وقت يجد فيه الحمام ويعافه .

٥ - وقد يكون ضعيف الجسم بطبعه .

٦ - وقد تكون الزوجة أقوى شخصية من الزوج فيهابها أول الأمر .

٧ - وهكذا أسباب أخرى مماثله منها ما سيأتى فى الفصل الثالث .

ولو زالت الأسباب لأصبح العامى كالثور لا يكبح جماحه شيء . ولما كان هذا العامى قد وقر فى نفسه واستقر فى ذهنه أن هذا الساحر بيده أمر شفائه ، فإن هذا الاعتقاد نصف العلاج . والأدوية والعقاقير النصف الآخر . ومن أجل ذلك يحاول الساحر أن يقنع العامى بقدرته على شفائه . وان علاجه سهل ونستخدم فى ذلك ما يشاء من أدوات لإزالة الوهم الذى علق بذهنه ، ثم يصف له أدوية وعقاقير هى كلها من التى تغذى الجسم وتقوى الأعصاب كالبيض والعجوة وفى هذه الحالة يشفى العامى إذا كان السبب هو الضعف أو قلة الراحة . أما إذا كان السبب كره الزوجة . فإنه لا يزول إلا باستحسانها . كأن تروق فى نظره بعدما كانت سمجة . مثله مثل الشبعان الذى يقدم له الخبز الجاف فيعافه فإذا ما اضطر إليه كان فى فمه كالعسل المصفى .

ولو أن هذا العامى ذهب إلى طبيب متخرج من كلية الطب فوصف له الأدوية والعقاقير ما كانت ستفيد شيئا لأن علاج الجانب النفسى ، لازم جنبا إلى جنب مع الأدوية والعقاقير .

لذلك : يجب أن ينتشر علماء الدين فى كل مكان ليقنعوا الناس بأن الساحر لا يملك ضرا ولا نفعا ، وليس لعمله تأثير البتة . وبذلك يعالجون الجانب النفسى من نفوس المرضى ، ويبقى الجانب الآخر فيسهل على الأطباء مزاولة عملهم .

■ المبحث الثالث عشر : تأثير الشياطين والجن :

ثبت من القرآن الكريم أن شياطين الجن يروننا ولا نروهم لقوله تعالى : ﴿ إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون ﴾ (الأعراف ٢٧) وقال بعض العلماء : « جائز ان يروا لأن الله تعالى إذا أراد أن يريهم كشف اجسامهم حتى ترى[١] » وفى الكتب : ان الشيطان كلم ابا هريرة فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : « تعلم من تخاطب منذ ثلاث يا أبا هريرة ؟ قال : لا . قال : ذاك الشيطان[٢] » وفى الصحيح عن ابى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « إن عفريتا من الجن جعل يفتك على البارحة ليقطع على الصلاة ، وإن الله أمكننى منه فدعته » بتشديد التاء المضمومه اى دفعته دفعا شديدا وفى رواية فذعته ومعناه فخنقته وفى الموطأ عن يحيى ابن سعيد انه قال أسرى برسول الله ﷺ فرأى عفريتا من الجن يطلبه بشعلة من نار ، كلما التفت رسول الله ﷺ رآه . فقال جبريل : أفلا أعلمك كلمات تقولهن إذا قلتهن طفئت شعلته ، وخر لفيه . فقال رسول الله ﷺ بلى . فقال : أعوذ بالله الكريم وبكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء وشر ما يعرج فيها وشر ما ذرأ فى الأرض وشر ما يخرج منها ، ومن فتن الليل والنهار ومن طوارق الليل والنهار إلا طارقا يطرق بخير يا رحمن[٣] » .

وإن الشيطان يوسوس فى صدور الناس وبعضهم يظهر لبعض الناس ليتحالفوا على إضلالهم وخداعهم . فقد يحدث مثلا أن يضيع شيء من إنسان ، فيدخل على الساحر ليعرف منه أين الشيء الذى ضاع ؟ فالإنسان له شيطان والساحر له شيطان فيخبر شيطان

---

(١) الجامع لاحكام القرآن جـ٧ ص١٨٦ (٢) البخارى .

(٣) انظر تفسير القرطبى فى سورة النمل . وقد ذكرنا الاحاديث للايضاح والتفسير

الإنسان شيطان الساحر ، بما كان .فينطق الساحر بنطق شيظانه . فيظن الإنسان أنه يعرف.وقد يفطن الساحر إلى كلام نطق الإنسان به ، فيستنتج منه ما يريد . وقد يخبره بغير الحقيقة ليوقع الناس فى عداوات . وقد يدخل انسان على ساحر فيقول : انظر هذان حجران يقتتلان. فينظر الإنسان إلى حجرين يحركهما شيطان غير مرئى .

وقد يدخل إنسان على ساحر فيقول له : انظر إلى هذا الوعاء . ماذا ترى فيه ؟ ان فيه ماء وعليه غطاء ثم يحرك شفتيه بكلام مبهم ، ثم يأمره يفتح الوعاء فيرى فيه ورقا مختلطا بطين أو نحوه . فيقول له : هذا حجاب قد صنع لك للضرر . والحق أن شيطان الساحر هو الذى وضع ذلك والناس لم يروه حين فعل ولم يكن من قبل حجاب ولا تمائم . وكل ذلك من الشيطان والساحر ليلبسا على الناس دينهم وبذلك يصرف الشيطان الناس عن عبادة الله وحده الذى منه وحده النفع وهو وحده الذى يكشف الضر .

وفعل الشيطان هذا . لا يتعدى أكثر مما قلنا . يؤثر على رجل فاسق وأمرأة فاسقة ويتعاونا معا على الإيهام والتخييل والكفر والتضليل . لكن لا يستطيع الشيطان أن يجلب نفعا أو يمنع ضرراً بفعل السحر . لأن سليمان عليه السلام ﴿ قال : رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى إنك أنت الوهاب . فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين فى الأصفاد ﴾ (ص ٣٥ - ٣٨) فلو استطاع الساحر استخدام الشياطين فى فعل السحر بالعزائم وغيرها للزم تكذيب القرآن وهذا باطل ولأن النبى ﷺ لما اخذ الشيطان الذى أراد أن يقطع عليه صلاته وأمكنه الله منه ،اراد ربطه . ثم تذكر قول أخيه سليمان ﴿ رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى ﴾ فرده خساسئا . فلو أعطى أحد بعده مثله لذهبت

الخصوصية . فكأنه كره ﷺ أن يزاحم فى تلك الخصوصية بعد أن علم أنه شىء هو الذى خص به من سخرة الشياطين ، وأنه أجيب الى ألا يكون لأحد بعده . ففى صحيح مسلم أن النبى ﷺ قال : « والله لولا دعوة أخى سليمان لأصبح موثقا يلعب به ولدان أهل المدينة » . واذا قلنا « لا ينبغى لأحد من بعدى » فى بنى اسرائيل ، وليس الى يوم القيامة. فإن الساحر لا يمكّنه الله بواسطة الشيطان أو بواسطة أخرى من عمل شىء خارج على المألوف . لئلا يعتقد الناس أنه نبى لأنه يعمل معجزة خارجة على المألوف وخارقة للعادة ، او يدعى أنه نبى . ويلبس على الناس دينهم .

الفصل الثانى

نفى التوراة للسحر

التوراة قد حرمت السحر بهذا النص:

« متى دخلت الأرض التى يطيك الرب إلهك . لا تتعلم أن تفعل مثل رجس أولئك الأمم . لا يوجد فيك من يجيز ابنه أو ابنته فى النار ، ولا من يعرف عرافة ، ولا عائف ، ولا متفائل ولا ساحر . ولا من يرقى رقية ، ولا من يسأل جانا أو تابعة ، ولا من يستشير الموتى لأن كل من يفعل ذلك مكروه عند الرب .

وبسبب هذه الأرجاس الرب إلهك طاردهم من أمامك . تكون كاملا لدى الرب إلهك . إن هؤلاء الأمم الذين تخلفهم يسمعون للعائفين والعرافين . وأما أنت فلم يسمح لك الرب إلهك هكذا » (تثنية ١٨ : ٩ - ١٤) .

وفى الانجيل أنه محرم ايضا . ذلك لأن عيسى عليه السلام جاء مصدقا للتوراة متبعا لتعاليمها وآمرا أتباعه أن يعملوا بكل ما فيها من أحكام فقد حكى متّى : خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلا : على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه . ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا لأنهم يقولون ولا يفعلون »(متى ٢٣ : ١ - ٣) .

. . .   . . .

ولكن اليهود لم يحترموا كلام الله ولم يعملوا به ، وادعوا أن

السحر ينفع ويضر وتعاملوا به فى ما بينهم . وكتبوا فى التوراة – أعنى كتب الأنبياء من بعد موسى[١] – أن طالوت (شاول) قد « قطع أصحاب الجان والتوابع من الأرض » وأنه هو نفسه كان يؤمن بذلك . جاء فى سفر صموئيل الأول فى الأصحاح الثامن والعشرين ما نصه :

فقال شاول لعبيده : فتشوا لى على امرأة صاحبة جان ، فأذهب إليها وأسالها . فقال له عبيده : هو ذا أمرأة صاحبة جان فى عين دور . فتنكر شاول ، ولبس ثيابا اخرى وذهب هو ورجلان معه وجاءوا إلى المرأة ليلا . وقال اعرفى لى بالجان وأصعدى لى من أقول لك . فقالت له المراة : هو ذا أنت تعلم ما فعل شاول . كيف قطع أصحاب الجان والتوابع من الأرض ؟ فلماذا تضع شركا لنفسى لتميتها ؟ فحلف لها شاول بالرب قائلا : حى هو الرب إنه لا يلحقك إثم فى هذا الأمر . فقالت المراة : من أصعد لك ؟ فقال : أصعدى لى صموئيل . فلما رأت المراة صموئيل صرخت بصوت عظيم وكلمت المراة شاول قائلة : لماذا خدعتنى وأنت شاول ؟

فقال لها الملك : لا تخافى . فماذا رأيت ؟ فقالت المرأة لشاول : رأيت آلهة يصعدون من الأرض . فقال لها : ما هى صورته ؟

---

(١) التوراة حقيقة تطلق على الاسفار الخمسة لموسى وهى (التكوين – الخروج – اللاويين – العدد – التثنية) وقد اعاد كتابتها الربانيون والأحبار برئاسة عزرا فى مدينة بابل بالعراق سنة ٥٨٦ق . م . وتطلق مجازا على الأسفار الأخرى من باب اطلاق اسم الجزء على الكل ويرجح أن أسفار الأنبياء كتبت فى العصر المكابى ١٦٧ق . م واليهود السامريون لا يقبلون إلا كتب موسى الخمسة والعبرانيون يقبلون ٣٤ سفرا مع الأسفار الخمسة والنصارى الأرثوذكس والكاثوليك يقبلون التوراة اليونانية وهى ٤٦ سفرا مع الأسفار الخمسة والأسفار الخمسة مع العبريين والسامريين بها اختلافات شتى وكذلك تختلف العبرية مع اليونانية (انظر كتابنا . نقد التوراة الأسفار الخمسة)

فقالت : رجل شيخ صاعدا ، وهو مغطى بجبة فعلم شاول أنه صموئيل[١] فخر على وجهه إلى الأرض وسجد . فقال صموئيل لشاول : لماذا أقلقتنى بإصعادك إياى ؟ فقال شاول : قد ضاق بى الأمر جدا . . . الخ . » (اصم ٢٨ : ٧ - ١٥) .

وفى زمن عيسى عليه السلام وكان فى ذلك الزمن يوسيفوس[٢] المؤرخ اليهودى الشهير كان علماء اليهود العبرانيين منهم ١ - الفريسيون ٢ - والصدوقيون . ويطلق عليهم جميعا اسم الكتبة . وكان عيسى من طائفة الفريسيين.

ادعى الفريسيون فى ذلك الزمان أنهم على علم باسم الله الأعظم الذى إذا دعى به أجاب وإذا سئل به اعطى وانهم يعرفون العزائم التى يتلونها على العفاريت والجان وبها تأتمر العفاريت والجان بأمرهم وأنهم يعرفون أنواع التحضير العلوى والسفلى . ويعرفون أنواع الحل والربط وأنواع الحب والكره ، وأنواع صلاح الأحوال ووقف الأحوال ويعرفون ادعية تكتب لجلب الأرزاق وطرد الأعداء ويعرفون الرقى التى تشفى من الأمراض ويعرفون الكلمات التى يكتبونها تمائم لطرد الجن والعفاريت من أجساد الناس . وادعوا انهم يعرفون اسماء الرؤساء مثل شمهورش وغيره وان هؤلاء الرؤساء فى خدمتهم إذا طلبوهم بالرموز والطلاسم . الى غير ذلك مما يطول

---

(١) صموئيل هو الذى طلب منه بنو اسرائيل ان يجعل عليهم ملكا (انظر سورة البقرة ٢٤٦) وفى التواريخ السامرية أن اسمه : إيلى بن يفنى (التاريخ مما تقدم عن الاباء) وتعنى هذه القصة : استحضار أرواح الموتى : وهذا بالإضافة إلى كونه محرما فى الشرائع كلها هو أيضا باطل بالعقل لأن الروح إذا كانت فى النعيم فيستحيل خروجها منه إلى الدنيا إلى الآلام والاسقام . وإذا كانت فى النار فيستحيل خروجها منها لترتاح مدة وجودها فى الدنيا وكيف يكون ذلك وقد قال تعالى : ﴿ وحرم على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون ﴾ (الأنبياء ٩٥) .

(٢) ولد سنة ٣٧ ميلادية وتوفى بروما سنه ٩٥ وكان من الفريسيين .

شرحه ، وقد ذكره « يوسيفوس » فى تاريخه .

ولما ظهر عيسى عليه السلام كان علماء الفريسيين قد أقنعوا عامة اليهود والناس بقوة السحر على شفاء الأمراض وطرد الجن من أجساد الناس وما شابه ذلك . فكانت أفعال المسيح - أى معجزاته - فى نظر الناس أقوى من أفعالهم لأنه كان يشفى الأكمه والأبرص ويحيى الموتى بإذن الله .

وقد آمن به كثيرون من الناس وتأكدوا أنه يصنع هذه المعجزات بقوة من الله لا باستخدام الحيل والرقى والعزائم التى يستخدمها الفريسيون .

من أجل ذلك ضاق به الفريسيون ذرعا . وقالوا له : إننا نستخدم اسم الله الأعظم فى سحرنا أما أنت فتستخدم بعلزبول رئيس الشياطين ، أى أننا وأنت واحد فى عمل السحر غاية ما فى الأمر أنك تستخدم رئيس الشياطين وأما نحن فنقسم ونعزم باسم الله الأعظم.وكيف تقسمون وتعزمون باسم الله الأعظم . وقد نهاكم الله عن ذلك وبينت التوراة انه « مكروه عند الرب » وقد وضح الله لكم انه لم يسمح به.ففى التوراة : « لم يسمح لك الرب الهك » ؟ اذا كان هو مكروها ولم يسمح به فكيف يستجيب لكم ؟ .

وفى إنجيل متى ما نصه : « حينئذ أحضر إليه مجنون أعمى وأخرس فشفاه حتى أن الأعمى والأخرس تكلم وأبصر فبهت كل الجموع . وقالوا : ألعل هذا هو ابن داود[1] ؟

---

(١) وعد الله اليهود بنبى من بنى إسماعيل مثل موسى فى الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية . ولكراهية اليهود لنسل اسماعيل ادعوا أن النبى الآتى سيكون منهم . وكان ذلك فى بابل فى العراق وبعد العودة اختلف السامريون والعبرانيون فى ذلك النبى فقال السامريون إنه سيأتى من سبط يوسف عليه السلام وقال العبرانيون انه سيأتى من سبط يهوذا ابن يعقوب من نسل داود عليه السلام ولما جاء عيسى عليه السلام وهو من العبرانيين من نسل هارون من سبط لاوى وأخبرهم بأن نبى بنى إسماعيل آتٍ =

أما الفريسيون فلما سمعوا . قالوا : هذا لا يخرج الشياطين إلا ببعلزبول رئيس الشياطين فعلم يسوع أفكارهم وقال لهم : كل مملكة منقسمة على ذاتها تخرب . وكل مدينة أو بيت منقسم على ذاته لا يثبت . فإن كان الشيطان يخرج الشيطان فقد انقسم على ذاته فكيف تثبت مملكته ؟ وإن كنت أنا ببعلزبول أخرج الشياطين فأبناؤكم بمن يخرجون ؟ لذلك هم يكونون قضاتكم . ولكن إن كنت أنا بروح الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله » (متى ١٢ : ٢٢ - ٢٨) .

وروى لوقا ذلك الموضع هكذا : « وكان يخرج شيطانا ، وكان ذاك أخرس ، فلما أخرج الشيطان تكلم الأخرس ، فتعجب الجموع . وأما قوم منهم فقالوا : ببعلزبول رئيس الشياطين يخرج الشياطين . وآخرون طلبوا منه آية من السماء يجربونه ، فعلم أفكارهم وقال لهم : كل مملكة منقسمة على ذاتها تخرب . وبيت منقسم على بيت يسقط . فإن كان الشيطان أيضا ينقسم على ذاته ، فكيف تثبت مملكته ؟ لأنكم تقولون : انى ببعلزبول أخرج الشياطين . فإن كنت أنا ببعلزبول أخرج الشياطين فأبناؤكم بمن يخرجون ؟ لذلك هم يكونون قضاتكم . ولكن إن كنت بإصبع الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله »[1] (لوقا ١١ :

= من بعده أرادوا قتله لهذا السبب . وقد كف الله أيديهم عنه وبعد رفعه إلى السماء ادعوا أن عيسى من نسل داود ، وأنه هو النبى الذى وعد به موسى ولا نبى بعده إلى يوم القيامة حتى تظل الشريعة معهم إلى الأبد .

(١) ملكوت الله أو ملكوت السموات أو الحياة الأبدية أو الحياة بمعنى واحد (أنظر دانيال ٧ : ١٣ - ١٤ ومتى ٤ : ٧) وهو ملكوت أرضى لا روحى . وقد تأسس بعد زوال المملكة الرابعة مملكة الرومان ومثل حبه الخردل الذى ضربه المسيح لملكوت السموات هو الذى أشارت إليه الآية الأخيرة من سورة الفتح (انظر كتابنا البشارة بنبى الاسلام فى التوراة والانجيل) .

١٤ - ٢٠) .

يريد المسيح أن يقول : إن مملكة الشياطين متحالفة على إضلال الناس وإرهاقهم فكيف يسمح شيطان لنفسه أن يريح إنسانا ؟ إنه إن أراح إنسانا فقد بطل عمل الشياطين وفى الوقت نفسه يكون شيطان أراح ، وشيطان لم يرح . وعليه فإن مملكة الشياطين تنقسم بين من يعمل للخير ومن يعمل للشر ومن ينحاز منهم للخير ، ومن ينحاز للاشرار واذا انقسموا على أنفسهم بطل عملهم الذى هو الشر وإذا ثبت أنى أعمل الخير وحده ، يثبت أنى أخرج الشياطين باسم الله وحده وبإذنه .

يقول متى هنرى فى تفسيره لعبارات متى :« كان بين اليهود من يخرجون الشياطين أحيانا باستخدام اسم الله العلى ، أو اسم الله إله إبراهيم وإسحق ويعقوب . يحدثنا « يوسيفوس » عن بعض الذين فعلوا هذا فى عصره . هؤلاء لم يدنهم الفريسيون ، بل نسبوا ما فعلوا لروح الله ومجدوا أنفسهم وأمتهم به ، لأنهم فعلو هذا . لذلك كان روح الحقد والحسد هو الباعث على اعترافهم بأن الآخرين أخرجوا الشياطين بروح الله . وأن المسيح فعل ذلك بمحالفة مع البعلزبول[١] » .

وفى سفر أعمال الرسل عند النصارى نقرأ عن اليهود الذين كانوا يطوفون فى القرى بكتب السحر لعمل عزائم وأحجبة وتمائم وغير ذلك نقرأ عند لوقا كاتب السفر ما نصه : « فشرع قوم من اليهود الطوافين المعزمين[٢] أن يسموا على الذين بهم الأرواح الشريرة

---

(١) جـ٢ ص٣٧٠ - ٢٧١ تفسير إنجيل متى - لمتى هنرى ترجمه مرقس داود - مكتبة المحبة بمصر - طبع دار ممفيس .

(٢) طاردى الارواح الشريرة حسب الترجمه الانجليزية

قائلين باسم الرب يسوع : نقسم عليك بيسوع الذى يكرز به بولس . وكان سبعة بنين لسكاوا رجل يهودى رئيس كهنة ، الذين فعلوا هذا .

فأجاب الروح الشرير ، وقال : أما يسوع فأنا أعرفه ، وبولس أنا أعلمه ، وأما أنتم فمن أنتم ؟ فوثب عليهم الإنسان الذى كان فيه الروح الشرير وغلبهم وقوى عليهم ، حتى هربوا من ذلك البيت عراة ومجرحين . وصار هذا معلوما عند جميع اليهود واليونانيين الساكنين فى أفسس . فوقع خوف على جميعهم وكان الرب يسوع يتعظم . وكان كثيرون من الذين آمنوا يأتون مقرين ومخبرين بأفعالهم . وكان كثيرون من الذين يستعملون السحر يجمعون الكتب ، ويحرقونها أمام الجميع ، وحسبوا أثمانها فوجدوها خمسين ألفا من الفضة » (أعمال ١٩ : ١٣ - ١٩) .

وسواء كانت القصة صحيحة أو كانت باطلة . فإنها تدل على استعمال كهنة اليهود للسحر . فى العصور النصرانية الأولى . تدل على أن « سكاوا » رئيس كهنة[٢] كان له سبعة بنين يستعملون السحر وكان كثيرون من الذين يستعملون السحر يجمعون الكتب ويحرقونها أمام الجميع وحسبوا أثمانها فوجدوها خمسين ألفا من الفضة .

يقول الدكتور « لورانس براون » فى تفسير هذه الآيات ـ وسواء كان تفسيره صحيحا أو باطلا . فإن ذلك لا يعنينا . إنما الذى يعنينا هو أن السحر من عمل اليهود أنفسهم لا من وحى الله عز جاره وجل ثناؤه . ولا بإرشاد من عيسى نفسه . فقد حرمه كما حرمه موسى من قبل ـ يقول الدكتور لورنس براون : « حاول أبناء سكاوا .

---

(٢) كهنه = علماء - يكرز = يبشر

استخدام السحر بالاستعانة باسمى يسوع وبولس ظنا منهما أن فى الاسمين قوة سحرية بغض النظر عن شخصيتى يسوع وبولس وكانت هذه فكرة شائعة فى تلك الأيام . وزعم القوم أنه إذا رفع التضرع إلى إله ما بالصيغة اللفظية الصحيحة . وخاصة إذا استخدم اسمه . فإنه مضطر أن يستجيب إلى تضرع الطالب . ولذلك نجد الاسم « صباؤت » المستعار من اليهود مستعملا فى كثير من الرقى الوثنية السحرية ، واسم يسوع يحمل معه قوة ، سواء كان النطق به بالآرامية الأصلية أو باليونانية أو بأية لغة عصرية . وذلك لأن اسمه يوجه افكارنا إلى الشخص الحى . الذى يحمل هذا الاسم الكريم .

وبهذا المعنى لا بمعنى سحرى « تعظم اسم الرب يسوع » بواسطة اندحار أبناء سكاوا . فضلا عن هذا قد سفه السحر وأهين . حتى جاء كثيرون ممن مارسوه وأحرقوا كتبهم التى قدرت تقديرا عاما بنحو خمسين ألف دينار ، أى ما يعادل أربعة آلاف جنيه . وذلك لأنها بدت فى أعين أصحابها عقيمة لا جدوى منها[١] » .

والقدماء كانوا يعتقدون أن للعاب قوة على الشفاء[٢] وكان اليهود يعتقدون أن اللعاب ايضا يستعمل مرافقا للسحر . ولذا فى قصص السنهدرين[٣] يقول « بار عقيبه » « لا يليق بالإنسان أن يضع لعاب صائم على العينين يوم السبت[٤] » .

فاستعمال اللعاب بمعنى القوة الروحيه للحياة كان شائعا عند

---

(١) ص٢٢٢ - ٢٢٣ تفسير سفر اعمال الرسل - نقله إلى العربيه حبيب سعد - صدر عن جمعية نشر المعارف المسيحيه . المطبعة المصرية .

(٢) قصه واسباسيان فى الاسكندرية - تاريخ تاسيتوس .

(٣) السنهدرين من أبواب التلمود .

(٤) تاريخ السنهدين ١٠ - ٤ انظر تفسير يوحنا للانبا آثناسيوس ص١٦٨

اليهود . كما يستعمله السحرة فى عصرنا هذا .

ولما جاء عيسى عليه السلام وعلماء اليهود يستعملون اللعاب فى شفاء الأمراض ويتمتمون برقى وعزائم ، استعمل نفس الطريقة بوحى من الله وقوة منه ، كما كانت معجزة موسى عليه السلام مناسبة لأهل زمانه . يقول يوحنا : « وفيما هو مجتاز رأى إنسانا أعمى منذ ولادته فسأله تلاميذه قائلين : يا معلم من أخطأ ؟ هذا أم أبواه ؟ حتى ولد أعمى . أجاب يسوع : لا هذا أخطأ ولا أبواه . لكن لتظهر أعمال الله فيه . ينبغى أن أعمل أعمال الذى أرسلنى ما دام نهار . يأتى ليل حين لا يستطيع أحد أن يعمل . ما دمت فى العالم فأنا نور العالم .

قال هذا وتفل على الأرض ، وصنع من التفل طينا ، وطلى بالطين عينى الأعمى . وقال له : اذهب اغتسل فى بركة سلوام . الذى تفسيره مرسل . فمضى واغتسل وأتى بصيرا » (يوحنا ٩ : ١ - ٧)

ويقول مرقس « وجاء إلى بيت صيدا . فقدموا إليه أعمى وطلبوا إليه أن يلمسه . فأخذ بيد الأعمى وأخرجه إلى خارج القرية وتفل فى عينيه ، ووضع يديه عليه وسأله : هل أبصر شيئا ؟ فتطلع وقال : أبصر الناس كأشجار يمشون . ثم وضع يديه ايضا على عينيه وجعله يتطلع فعاد صحيحا ، وأبصر كل إنسان جليا » (مرقس ٨ : ٢٢ - ٢٥)

ومعنى هذا الذى هو مكتوب فى الأنجيل عن تفل عيسى عليه السلام فى عينى الأعمى ، أو تفله على الأرض ، ليختلط تفله بالتراب ، ويصنع منه طينا ، ليطلى به عينى الأعمى . معناه : أن عيسى عليه السلام كان يفعل كما يفعل علماء بنى إسرائيل فى زمانه فى

شفاء الأمراض . والفرق بينه وبينهم : أنهم يفعلون مع المرضى . ولا يحدث شفاء . وهو يفعل ويتم الشفاء على يديه . وعندئذ يتعجب العلماء والناس قائلين فى أنفسهم : لماذا يكون الشفاء فى عمله ؟ ويصرح عيسى عليه السلام بأن الله تعالى يحدث الشفاء عند فعله ، ليؤمنوا أنه مرسل من الله برسالة لبنى إسرائيل . كما حكى عنه يوحنا : « ورفع يسوع عينيه إلى فوق وقال : أيها الآب أشكرك لأنك سمعت لى وأنا علمت أنك فى كل حين تسمع لى . ولكن لأجل هذا الجمع الواقف ، قلت : ليؤمنوا أنك أرسلتنى » [يوحنا ١١ : ٤٠ ـ ٤٢] .

فمعجزة عيسى عليه السلام كانت من جنس ما يفعله علماء بنى إسرائيل فى زمانه ، كان يفعل مثل ما يفعلون . والنتيجة تختلف . وعندئذ يؤمن به من يؤمن ، لتأكدهم من نبوته بالبراهين التى تثبت بها النبوة .

... ...

لقد بينا ان السحر فى التوراة محرم وأن عيسى عليه السلام ما جاء لينسخ كتاب موسى ـ لما سبق ـ ولقوله : « ما جئت لأنقض الناموس » (متى ٥ : ١٧) فعلى ذلك كل ما هو محرم فى كتاب موسى يكون محرما على النصارى وكل ما هو حلال فى كتاب موسى يكون حلالا على النصارى . فماذا يقول النصارى فى السحر ؟ هل عندهم أمر صريح بفائدته ونفعه ؟ وإذا كان مفيدا ونافعا فهل أمرهم عيسى بتعلمه واستخدامه ؟ .

يقولون بناء على ما جاء فى سفر الأعمال إنه مفيد ونافع إذا ما استخدم الساحر اسم يسوع المسيح وحده . لأنه هو الله خالق

السموات والأرض فى نظرهم[١] أما إذا استخدم الساحر اسما غير اسم يسوع المسيح فانه يخدع الناس . وقولهم هذا هو قول اليهود انفسهم غاية ما فى الأمر أن إله اليهود اسمه « صباؤت » وإلههم اسمه « يسوع » فهم يستخدمون الله بأسماء مختلفة . يقول الأنبا اثناسيوس فى تفسيره لإنجيل متى : « لا قوة تقوى على الشياطين إلا قوة المسيح ، وأولئك الذين يدعون أنهم يخرجون الشياطين وهم بعيدون عن روح المسيح الحقيقية يبدون وكأنهم يقيمون محالفات مع الشيطان ، يخدعون الناس بها ، نظير بعض مظاهر من الراحة التى يعطيها الشيطان لهم مقابل امتلاكه اياهم ، فهم يطيعونه ويلبون ما يطلب ويخضعون له فى كل حياتهم فى الملبس والمأكل والمعاشرات ، وكل شىء . وهو طبعا لا يطلب أكثر من ذلك[٢] » .

... ...

واذا كان الأمر كما ذكرنا ان التوراة حرمت السحر تحريما قاطعا فمن أين إذاً جاءت قصة هاروت وماروت ؟

لا يرتاب عاقل أنها تكون من زعم اليهود للتضليل وللحيل فى جمع المال وللتمتع بالنساء وليست هى من وحى الله ، إذ لو كانت وحيا لذكرها فى التوراة وما كان يحرم السحر على اليهود ، ويبين أنه لم يسمح به ، وأنه مكروه عند الرب ، وعلى زعمهم هذا كيف ينزل به .

---

(١) الارثوذكس يقولون ان الله حل فى بطن مريم ، واتخذ صورة انسان ، ثم خرج منها طفلا ثم كبر ثم قتل ثم صعد الى السموات ﴿ لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مرين ﴾ والكاثوليك يقولون بطبيعتين للمسيح واحده انسانيه كاملة واخرى الهية كاملة ﴿ لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثه ﴾ والبروتستانت مع الكاثوليك فى العقيده

(٢) ص ١٧٥ - ١٧٦ تفسير من الأنبا شنودة

ملائكة وكيف يأمر بعدم تعلمه للخير وللشر ؟ ، إنه لم يأمر ، إذاً لم ينزل .

* * *

وإنى لأذكر لك عن التلمود ومنه طرفا من الضلال والكفر . أذكر ما يلى :

يعتقد علماء التلمود : أن التلمود من كتب السحر . وقال معلم السحر . « أليفاس ليفى » اليهودى : « إن التلمود أول كتاب سحرى[1] » .

وقد جاء فى التلمود أن أحد مؤسسى ديانة التلمود كان يستطيع أن يخلق رجلا بعد أن يقتل آخر . وكان يخلق كل ليلة عجلا عمره ثلاث سنوات بمساعدة حاخام آخر . وكانا يأكلان منه معا وكان أحد الحاخامات[2] أيضا يحيل الشمام والقرع إلى غزلان ومعيز . . .

وكان الرابى « نياى » يحول الماء إلى عقارب ، وقد سحر يوما ما امرأة وجعلها حمارة وركبها ووصل بها إلى السوق .

وكان إبراهيم الخليل يتعاطى السحر ويعلمه ، وكان يعلق فى عنقه حجرا ثمينا يشفى بواسطته جميع الأمراض ووصل هذا الحجر إلى بعض الحاخامات التلموديين . وكان بقوته هو وباقى رفقائه يحيون الموتى .

وحدث أن أحد الحاخات قطع رأس حية ، ثم لمسها بالحجر المذكور . فإذا هى حية تسعى . ولما لمس به أيضا جملة أسماك مملحة دبت فيها الروح بقوة السحر .

---

(١) انظر ـ التلمود

(٢) الحاخامات

وفى التلمود أيضا : ويسكن جبال الشرق المظلمة شيطانتان مشهورتان هما (آذا ، وآذائيل) وهما اللتان علمتا السحر لبلعام بن باعوراء وأيوب النبى ويثرو حمو موسى النبى .وكان الملك سليمان يحكم على الطيور والشياطين بواسطتهما وكانتا هما السبب فى حضور بلقيس إليه .

وفى التلمود : أنك اذا عزمت بثلاثة أسماء من أسماء الملائكة فإن « ليليت » لا تقتل أحدا من الأطفال .ويقول التلمود : إن آدم كان يأتى شيطانة اسمها « ليليت » منذ ١٣٠ سنة فولدت له شياطين . وكانت أيضا لا تلد فى هذه المدة إلا شياطين بسبب نكاحها من ذكور الشياطين .

وقد روى التلمود : أن الشياطين يتناسلون ويأكلون ويشربون ويموتون مثل بنى آدم . وأمهات الشياطين المشهورات الأربعة استخدمهن سليمان الحكيم بما كان له عليهم من السلطة وكان يعاشرهن ويستمتع بهن .

وڤيليت . عصت آدم زوجها فعاقبها الله بموت أولادها . فهى ترى كل يوم مائة من أولادها يموتون أمامها . ومن ذلك الحين تعهدت ألا تقتل أحدا من الأطفال الذين لها عليهم السلطة ، إذا تليت عليهم ثلاثة أسماء من أسماء الملائكة . وليليت تعوى دائما كالكلاب ويصاحبها مائة وثمانون ملكا من الأشرار ، وتوجد شيطانة أخرى من الأربع المذكورات دأبها الرقص دون أن تستريح ومعها دائما مائة وتسع وسبعون روحا شريرة . ويولد الآن من بنى آدم كل يوم جملة من الشياطين . ولكننا لا نقص عليك تفصيل ذلك محافظة على الآداب .

ويقول التلمود : إن المسيح كان مجنونا ، وهذا مطابق لما كان

يعامله به (هيرودس) ومعاصروه الذين وصفوه بأنه ساحر .

ويقول التلمود عن الملائكة : إن منهم من يعمل للمحبة والصلح ، وبعضهم مخصص للخير والشر ، وإذا عزّم الساحر على الملائكة من أجل المحبة والصلح والخير والشر ، فليكن بغير اللغة السريانية والكلدانية .

ولقد كتب فيه الكاتبون : وللملائكة وظائف مختلفة . فمنهم من وظيفته حفظ الأعشاب التى تنبت فى الأرض وهم واحد وعشرون ألفا بعدد الأعشاب وكل واحد يحفظ النوع الذى يناط به . ومنهم الملك « جركيمو » وهو مخصص للبرد ، و« ميخائيل » للمياه ، و« جبرائيل » للنار وإنضاج الأثمار . وتوجد عدة ملائكة أخرى أسماؤهم معروفة للحاخامات بعضهم مخصص للخير وبعضهم مخصص للشر ، وبعضهم لبث المحبة والصلح . والآخرون لحفظ الطيور .

وقال الحاخام « ميمانود » : إن الأجرام السماوية هم صالحو الملائكة « ولذلك تراهم يعقلون ويفهمون » والملائكة لا تفهم اللغة السريانية ولا الكلدانية . فعلى من يطلب منها شيئا أن يطلب منها ما يريد بغير هاتين اللغتين .

... ...

والتلمود ليس كتابا منزلا من السماء . وإنما هو كتاب كتبه اليهود بأيديهم للتضليل والكفر مدعين أنه علم أصول الفقه والحكمة ومدعين أنه سنة من موسى عليه السلام كسنة النبى ﷺ والتلمود يتألف من قسمين : مشنا وجمارا ، وكلمة تلمود بالعبرى معناها تعليم . وكلمة مشنا معناها متن الدرس والمطالعة . وكلمة جمارا معناها الإتمام والتكميل . وعلماء المشنا يسمون بالتنائيم ومدتهم ٢١٠

سنة (١٠ - ٢٢٠م) وأولهم شمعون الصديق وجاء بعده فى عصر المسيح عيسى عليه السلام : هلليل وشمّاى . ومن شمعون إلى شمّاى كان العلماء يلقبون بلقب ربان ومن « شماى » إلى « ربا أريخا » كان العلماء يلقبون بلقب ربى . وعلماء الجمارة يسمون بالأمواريم وهم فلسطينيون فى طبريا وقيصرية . وبابليون فى سورا وفومبديثا ومدتهم ٢٨٠ سنة من (٢٢٠ - ٥٠٠م) تقريبا بعد وفاة ربى يهوذا سنه ٢١٩ الى ختام التلمود وكان يلقب الفلسطينى « ربى » والبابلى راب أومار ثم جاء بعدهم « السبورايم » وهم علماء أكاديمية بابل بعد وفاة رابينا برهونا ٤٩٩ - ٦٨٩ اول عهد الجاونيم وأولهم بوس .

والتلمود منه نسختان مختلفتان ١ - التلمود الاورشليمى وقد وضعه أحبار أورشليم « القدس » فى « طبرية » فى أواخر القرن الرابع الميلادى ٢ - والتلمود البابلى وقد وضعه « راب إشى » رئيس الأكاديمية فى سورا قرب بغداد بمساعدة أحبار اليهود فى بابل فى أواخر القرن الخامس الميلادى وهو أوسع نطاقا من الأورشليمى . وإذا أطلق كان هو المراد . وهو ستة أقسام : الأول خاص بالزراعة ويشمل أحكام الصلوات والبركات . والثانى خاص بالأعياد والسبوت . والثالث خاص بالنساء من أحكام الزواج والطلاق . والرابع خاص بالأضرار وهى أحكام المالية والجنح . والخامس مقدمات عن القرابين والذبائح . والسادس عن الطهارة والنجاسة . وطبعت الطبعة الأولى فى نابولى سنة ١٤٩٢ م والطبعة الكاملة هى التى طبعت فى البندقية . وباللغة العربية لم يطبع الى يومنا هذا .

ويؤمن بالتلمود : الربانيون من العبرانيين . ويكفر به القراؤون منهم . واليهود السامريون يأبون الاعتراف به كل الإباء .

الفصل الثالث

تأثير الشياطين فى اجساد الناس

وقد اعترف عيسى عليه السلام بأن من الشياطين شياطين تلبس أجساد رجال ونساء من الإنس . وتؤثر تأثيرا يؤدى إلى الصرع والجنون ، والضعف والهزال . ولا يقال إن الشيطان من النار ، فكيف يلبس إنسيا ، إذ لو لبسه لاحترق ؟ لا يقال هذا القول ، فإن الشيطان يوسوس فى صدور الناس ، ويسلط أتباعه على بنى آدم ومع ذلك لا تصل درجة الوسوسة إلى الدرجة التى يحرق بها الشيطان الإنسان .

ولما أراد الله هلاك الشيطان يوم امتنع عن السجود لآدم . قال بلسان الحال : أنا وآدم قد عصينا.والفرق بينى وبين آدم : ان آدم قد عصى وتاب . أما أنا فقد عصيت ولن أتب . ثم رفع صوته قائلا : ﴿ لئن أخرتنى إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا ﴾ ورد الله عليه بقوله : ﴿ قال اذهب فمن تبعك منهم ، فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا ، واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم فى الأموال والأولاد وعدهم . وما يعدهم الشيطان إلا غرورا . إن عبادى ليس لك عليهم سلطان ﴾ (الإسراء ٦٢ - ٦٥) .

فى تفسير الكشاف : « لأحتنكن ذريته » : لاستأصلنهم بالإغواء . « اذهب » امض لشأنك الذى اخترته خذلانا وتخلية

« استفزز » استفزه : استخفه « وأجلب » من الجلبة وهى الصياح والخيل : الخيالة . والرجل : اسم جمع للراجل.والمشاركة فى الأموال والأولاد : كل معصية يحملها عليها فى بابها كالربا والمكاسب المحرمة والبحيرة والسائبة ، والإنفاق فى الفسوق والإسراف ومنع الزكاة والتوصل الى الأولاد بالسبب الحرام ، ودعوى ولد بغير سبب ، والتسمية بعبد العزى وعبد الحرث والتهويد والتنصير ، والحمل على الحرف الذميمة والأعمال المحظورة وغير ذلك « وعدهم » المواعيد الكاذبة من شفاعة الآلهة والكرامة على الله بالأنساب الشريفة وتسويف التوبة ومغفرة الذنوب بدونها ، والاتكال على الرحمة ، وشفاعة الرسول فى الكبائر والخروج من النار بعد أن يصيروا حمما ، وإيثار العاجل على الآجل .

فإن قلت : ما معنى استفزاز ابليس بصوته وإجلابه بخيله ورجله ؟ قلت : هو كلام ورد مورد التمثيل ، مثلت حاله فى تسلطه على من يغويه بمغوار أوقع على قوم فصوت بهم صوتا يستفزهم من أماكنهم ويقلقهم من مراكزهم ، وأجلب عليهم بجنده ، من خيالة ورجاله حتى استأصلهم[1] »

فأنت ترى من هذه الآيات مداخلة واحتكاك بين الشيطان وبنيه وبين آدم وبنيه . مداخلة واحتكاك بالوسوسة الخفية أحيانا ، وبالخداع الظاهر أحيانا أخرى . وعلى من يقول بالوسوسة الخفية فقط ، أن يأتى لنا بدليل .

ومن الممكن أن يؤثر الشيطان فى الإنسان ولا يؤدى ذلك إلى أن يحرق الشيطان الإنسان ، إذا تعامل معه علانية أو سرا .

---

(١) المغوار - البطل   الخيالة - ركاب الخيول الفرسان   الرجالة - المشاة

إنه من الممكن أن يحضر الجن مجالس العلم . ذلك أمر يسير[١] ولكن كلامنا الآن فى الشياطين . هل من الممكن أن يتزوج شيطان إنسية ، أو إنسى يتزوج شيطانة ؟ الجواب : لا . لأن الزواج طاعة لله وقربى . وقد اعترف الشيطان بأنه لن يطيع الله ولن يقترب منه . وعلى ذلك فالمتعة التى تحصل بين الشياطين والأناسى ، إنما هى متعة الهوى ، والشهوة ، متعة الزنا ، يزنى شيطان بإنسية ، ويكون كل منهما متمكن من صاحبه تماما. وظاهر له علنا . فقد قال تعالى : ﴿ ويوم يحشرهم جميعا ، يا معشر الجن[٢] قد استكثرتم من الإنس . وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض ، وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا . قال النار مثواكم ﴾ والنار لا تكون مثوى إلا للعصاة الفجرة . ومنهم الذين استمتعوا كما يستمتع الرجل بامرأته[٣] وقد روى الإمام القرطبى فى تفسيره عن الترمذى الحكيم : للجن مساماة بابن آدم فى الأمور والاختلاط [٤]» .

... ...

وكتب الإمام فخر الدين الرازى فى تفسير قوله تعالى ﴿ فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان ﴾ [الرحمن ٥٦] كتب : « ما الفائدة فى ذكر الجان مع أن الجان لا يجامع ؟ نقول : ليس كذلك ، بل الجن لهم أولاد وذريات . وإنما الخلاف فى أنهم هل يواقعون الإنس أم لا ؟ والمشهور أنهم يواقعون »[٥]

---

(١) انظر تفسير القرطبى فى الآية ٢٣ من سورة النمل فى جواز تزوج الإنسى من الجنية - لا الشيطانية

(٢) المراد بالجن : الشياطين ، انظر : تفسير الكشاف فى الاية ١٢٨ من سورة الانعام

(٣) ﴿ فمااستمتعتم به منهن فآتوهن اجورهن ﴾ (النساء ٢٤) .

(٤) انظر القرطبى فى الآيات ٦٢ - ٦٥ من سورة الإسراء .

(٥) التفسير الكبير للرازى - سورة الرحمن

وابن تيمية شيخ الإسلام فى زمانه ، المتوفى سنة ٧٢٨ هـ يقول : « فكثير من الناس قتلته الجن[١] ، كما يصرعونهم . والصرع لأجل الزنا ، وتارة يقولون : إنه أذاهم . إما بصب نجاسة عليهم ، وإما بغير ذلك ، فيصرعونه ، صرع عقوبة وانتقام . . . . الخ[٢] » .

وفى كتاب « خير البشر بخير البشر » أن « فاطمة بنت النعمان » قالت : قد كان لى تابع من الجن ، فكان إذا جاء ، اقتحم البيت الذى أنا فيه اقتحاما ، فجاءنى يوما فوقف على الجدار ، ولم يصنع كما يصنع . فقلت : ما بالك لم تصنع كما كنت تصنع صنيعك قبل ؟ فقال : إنه قد بعث اليوم نبى يحرم الزنا »

. . .   .

ومن أحسن ما قرأته فى هذا الموضوع هذا الكلام الذى كتبه الإمام الجليل الشيخ ابن تيمية شيخ الإسلام يرحمه الله ونصه : « والإنس تطيع الجن ، فتارة تسجد له ، وتارة تسجد لما يأمره بالسجود له ، وتارة يمكنه من نفسه ، فيفعل به الفاحشة . وكذلك الجنيات . منهن من يريد من الإنس الذى يخدمنه ما يريد نساء الإنس من الرجال . وهذا كثير فى رجال الجن ونسائها . فكثير من رجالهم ينال من نساء الإنس ، ما يناله الإنس . وقد يفعل ذلك بالذكران » .

ومن حسنات شيخنا شيخ الإسلام ابن تيمية على الإسلام والمسلمين ذمه للتصوف . وتبيان ما هم عليه من خروج على الدين - وهم قد خرجوا وضلوا - وقوله إن الشيطان يزين لهم السوء ،

---

(١) الشيطان نوع من الجان . والشياطين هى التى تتعرض للإيذاء ، لا الجان .

(٢) ص٣٩٩ النبوات لابن تيمية

وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا . ومن عباراته الجيدة التى فيها قلد الإمام القرطبى المفسر ، قوله : إن الشيخ من مشايخ الطرق الصوفية قد يتمثل به الشيطان ، ويظهر الشيطان لبعض أتباع الشيخ ، فيظن الاتباع أن الذى ظهر لهم هو الشيخ نفسه « وتارة يكون التابع قد نادى شيخه وهتف به يا سيدى فلان . فينقل الجنى ذلك الكلام إلى الشيخ بمثل صوت الإنسى ، حتى يظن الشيخ أنه صوت الإنسى بعينه . ثم إن الشيخ يقول نعم ، ويشير إشارة يدفع بها ذلك المكروه ، فيأتى الجنى بمثل ذلك الصوت والفعل ، فيظن ذلك الشخص أنه شيخه نفسه ، وهو الذى أجابه وهو الذى فعل ذلك ، حتى إن تابع الشيخ . قد يكون يده فى إناء يأكل ، فيضع يده فيه ، حتى يظن الشيخ أن يده فى ذلك الإناء ، فإذا حضر المريد ذكر له الشيخ أن يدى كانت فى الإناء ، فيصدقه ويكون بينهما مسافة شهر ، والشيخ فى موضعه ويده لم تطل . ولكن الجنى مثل للشيخ ومثل للمريد ، حتى ظن كل منهما أن أحدهما عند الآخر ، وإنما كان عنده ما مثله الجنى وخيله[1] »

... ...

وإذا صح ما ذكرنا من عنت الشياطين لبعض الناس بالوسوسة الخفية ، والظهور العلنى لدرجة إخماد صوت الإنسان وعلو صوت الشيطان عليه . فما المخرج من ذلك العنت ؟ وكيف يكون الشفاء ؟ .

اتفق القرآن والإنجيل على المخرج من عنت الشيطان ، والتخلص منه بالتضرع إلى الله والتقرب إليه بالطاعات . ففى القرآن الكريم ما يلى :

---

(١) الفرقان بين الحق والباطل – لابن تيمية .

١ - ﴿ إن عبادى ليس لك عليهم سلطان ﴾ والمعنى : إن الإنسان الذى يخالف النفس والشيطان ويعصيهما . فإنه يكون إنسانا قوى العزيمة والإرادة . وبقوة العزيمة والإرادة يعمل الذى أمر الله به أن يعمل ومن يكن هذا شأنه ، فإن الله معه يحفظه من السوء ويقيه من الأشرار .

٢ - ﴿ قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ، ومن شر غاسق إذا وقب ، ومن شر النفاثات فى العقد ، ومن شر حاسد إذا حسد ﴾ ، أمر الله عباده أن يقولوا فى صلواتهم هذا الدعاء . والدعاء صلاة . فى تفسير الكشاف : « الفلق » الصبح . « ما خلق » من شر خلقه . « غاسق » الليل إذا اعتكر ظلامه « وقب » دخول ظلام الليل فى كل شىء . وأسند الشر إلى الليل ، لأنه إذا أظلم كثر فيه الغدر « النفاثات فى العقد » يجوز أن يراد بهن النساء الكيادات من قوله « إن كيدكن عظيم » تشبيها لكيدهن بالسحر والنفث فى العقد ، أو اللاتى يفتن الرجال بتعرضهن لهم ، وعرضهن محاسنهن كأنهم يسحرنهم بذلك « إذا حسد » إذا ظهر حسده ، وعمل بمقتضاه من بغى الغوائل لمحسوده، لأنه إذا لم يظهر أثر ما أضمره ، فلا ضرر يعود منه على من حسده ، بل هو الضار لنفسه لاغتمامه بسرور غيره » .

وفى سورة الفلق هذه بين الله لنا أن نقول فى صلواتنا ونتعوذ « من شر ما خلق » وهذا يشمل من شر غاسق إذا وقب ، ومن شر النفاثات فى العقد ومن شر حاسد إذا حسد ، فما معنى الاستعاذة من الغاسق والنفاثات والحاسد ؟ وما المعنى فى أن يذكر سورة الناس ويطلب الاستعاذة من « الوسواس الخناس » وهو داخل أيضا فى « من شر ما خلق » ؟ والإجابة على ذلك :

إن من « شر ما خلق » عموم ، فى الظاهر من الشر والخفى منه ، فى وسوسة الشيطان سرا وظهوره علانية . ثم فصل أنواع الأشرار المهلكة وبينها ، كما فى قوله تعالى : ﴿ من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين ﴾ فإن جبريل وميكال من الملائكة ، وذكرهم على الخصوص لعظم منزلتهما .

٣ - ﴿ قل أعوذ برب الناس . ملك الناس . إله الناس . من شر الوسواس الخناس . الذى يوسوس فى صدور الناس . من الجنة والناس ﴾ فى تفسير الكشاف عن سعيد بن جبير إذا ذكر الإنسان ربه خنس الشيطان وولى . فإذا غفل وسوس إليه : « من الجنة والناس » من الجن والإنس كما قال « شياطين الإنس والجن » .

٤ - ﴿ وإما ينزغنك من الشيطان نزغ ، فاستعذ بالله ، إنه هو السميع العليم ﴾ (فصلت ٢٦) .

٥ - ﴿ وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ (البقرة ١٨٤) فالصوم سبب الى التقوى ، وهو قرين الصبر . والصبر والصلاة ركنان عظيمان فى بلوغ الإنسان مآربه لقوله تعالى : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة ﴾ (البقرة ٤٥) .

... ...

وفى الإنجيل . نجد طريقين لعلاج الناس من صرع الشياطين :

الطريق الأول :

١ - قال المسيح عيسى بن مريم عليه السلام لتلاميذه : « كل

ما تطلبونه فى الصلاة مؤمنين ، تنالونه »

وذلك القول منه فى سياق قصة رواها متى هكذا : « وفى الصبح إذ كان راجعاً إلى المدينة جاع ، فنظر شجرة تين على الطريق ، وجاء إليها ، فلم يجد شيئا إلا ورقا فقط . فقال لها : لا يكن منك ثمر بعد إلى الأبد . فيبست التينة فى الحال . فلما رأى التلاميذ ذلك تعجبوا قائلين : كيف يبست التينة فى الحال ؟ فأجاب يسوع . وقال لهم : الحق أقول لكم : إن كان لكم إيمان ولا تشكّون ، فلا تفعلون أمر التينة فقط ، بل إن قلتم أيضا لهذا الجبل انتقل وانطرح فى البحر ، فيكون . وكل ما تطلبونه فى الصلاة مؤمنين تنالونه »
[متى ٢١ : ١٨ - ٢٢]

ووجه الشاهد من هذا القول : أن أى طلب يطلبه المصلى من الله ، سواء كان رفع أذى أو جلب منفعة . فإن الله يعطيه إياه . فلو طلب رفع أذى الشيطان عنه أو عن غيره ، فأن الله يرفعه ، سواء كان الشيطان مؤذيا له بالوسوسة ، أو الصرع أو بأية كيفية من كيفيات الإيذاء .

٢ - يقول متى : « ثم دعا تلاميذه الاثنى عشر ، وأعطاهم سلطانا على أرواح نجسة ، حتى يخرجوها ، ويشفوا كل مرض وكل ضعف » وقال لهم عيسى عليه السلام : « اشفوا مرضى ، طهروا برصا ، أقيموا موتى ، أخرجوا شياطين » [متى ١٠ : ٨]
وإخراجهم الشياطين من أجساد الناس يكون بدعائهم لله فى الصلاة أن يخرجهم من أجساد المرضى .

الطريق الثانى :

وضح أن الطريق الأول هو دعاء شخص صالح لله عز وجل ليشفى نفسه أو غيره من صرع الشيطان . والطريق الثانى هو دعاء

شخص صالح لله عز وجل مع الصوم ليشفى نفسه لا غيره .

وقد وضحه المسيح عليه السلام فى قوله : « هذا الجنس لا يمكن أن يخرج بشى إلا بالصلاة والصوم » .

وهذا الإيضاح هو فى هذا النص الذى أذكره عن الأصحاح التاسع من إنجيل مرقس وهو : « ولما جاء إلى التلاميذ رأى جمعا كثيرا حولهم ، وكتبة يحاورونهم . وللوقت كل الجمع لما رأوه تحيروا وركضوا وسلموا عليه . فسأل الكتبة . بماذا تحاورونهم ؟ فأجاب واحد من الجمع ، وقال : يا معلم قد قدمت إليك ابنى ، به روح أخرس . وحيثما أدركه يمزقه ، فيزبد ويصر بأسنانه وييبس . فقلت لتلاميذك أن يخرجوه ، فلم يقدروا . فأجاب وقال لهم : أيها الجيل غير المؤمن ، إلى متى أكون معكم ؟ إلى متى أحتملكم ؟ قدموه إلىّ . فقدموه إليه . فلما رآه للوقت ، صرعه الروح ، فوقع على الأرض يتمرغ ويزبد فسأل أباه : كم من الزمان منذ أصابه هذا ؟ فقال : منذ صباه . وكثيرا ما ألقاه فى النار وفى الماء ليهلكه . لكن إن كنت تستطيع شيئا فتحنن علينا وأعنا .

فقال له يسوع : إن كنت تستطيع أن تؤمن . كل شىء مستطاع للمؤمن . فللوقت صرخ أبو الولد بدموع . وقال : أومن يا سيد ، فأعن عدم إيمانى . فلما رأى يسوع أن الجمع يتراكضون ، انتهر الروح النجس قائلا له : أيها الروح الأخرس الأصم ، أنا آمرك . اخرج منه ولا تدخله أيضا . فصرخ وصرعه شديدا وخرج . فصار كميت ، حتى قال كثيرون . إنه مات : فأمسكه يسوع بيده ، وأقامه فقام .

ولما دخل بيتا سأله تلاميذه على انفراد : لماذا لم نقدر نحن أن نخرجه ؟ فقال لهم : هذا الجنس لا يمكن أن يخرج بشىء إلا

بالصلاة والصوم » [مرقس ٩ : ١٤ - ٢٩]

العلاج بغير الصلاة والصوم لا يفيد

والعلاج بغير الصلاة والصوم لا يفيد فقد سمعنا من الحكايات التى تروى عن المشعوذين : أن رجلا أحضر شيطانا بالطلاسم والعزائم وقراءة الأدعية الخاصة بإحضاره حال التبخير ، ولما حضر ؛ لما يستطع أن يصرفه إما لخوفه من الشيطان ، وإما لأنه يجهل العزيمة الخاصة بانصرافه ـ كما يزعمون.ولما لم يصرفه آذاه الشيطان ايذاء شديدا.

وهذه الحكاية تشبه الحكاية التى سطرها لوقا فى الأصحاح التاسع عشر من سفر أعمال الرسل ، وهى : « فشرع قوم من اليهود الطوافين المعزمين ، أن يسموا على الذين بهم الأرواح الشريرة ، باسم الرب يسوع . قائلين : نقسم عليك بيسوع الذى يكرز به بولس .وكان سبعة بنين لسكاوا رجل يهودى ، رئيس كهنة الذين فعلوا هذا : فأجاب الروح الشريرة . وقال : أما يسوع فأنا أعرفه ، وبولس أنا أعلمه . وأما أنتم فمن أنتم ؟ فوثب عليهم الانسان الذى كان فيه الروح الشريرة وغلبهم ، وقوى عليهم ، حتى هربوا من ذلك البيت عراة ومجرحين . وصار هذا معلوما عند جميع اليهود واليونانيين ، الساكنين فى أفسس » [أعمال ١٩ : ١٣ - ١٧] .

أما عن الذى لم يستطع أن يصرف فأوذى إيذاء شديدا . فهذا لا يحدث البتة بسبب معرفة إحضار الشيطان أو صرفه . وإنما يحدث بسبب خلاف يقع بين الإنسان الذى يتعامل مع الشيطان ،وبين الشيطان الذى يتعامل مع نفس الإنسان . فقد يطلب الشيطان منه أمرا عسيرا عليه ، فيمتنع عنه ذلك الإنسان الذى ورط نفسه معه ،

فيؤذيه . وقد يتوب الإنسان ويصرّ على عدم التعامل مع الشيطان ، فيؤذيه . هذا هو سبب الإيذاء ، وليس سببه أنه لم يصرفه . فإن الشيطان الذى يتعامل مع إنسان آثم قلبه ، يحضر له متى شاء وينصرف عنه متى شاء بلا عزيمة وبلا أدعية . والعزائم والأدعية لا يفيدان فى الإحضار ولا فى الانصراف .

وأما الحكاية التى سطرها لوقا . فالغرض منها عند الكاتب : تعظيم اسم المسيح عيسى عليه السلام ، وإن الإيمان به ينجى من المهالك ، رداً على اليهود الذين يسخرون من تعاليمه ومن اتباعه ، حتى لقبوه بلقب « هانصرى » استهزاء به .

ولقد وضح مما تقدم أن الشيطان وبنيه قد اتفقوا على إضلال الناس وأذا هم ، ووضح أن الشفاء من شر الشياطين يكون بالصلاة والصوم . إما من المريض نفسه ، وإما من صالح يدعو له أو صالحة .

وفى القرآن الكريم يقول الله تعالى عن الشيطان : ﴿ إنه كان من الجن ﴾ فى قوله تعالى ﴿ إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه . أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو ؟ ﴾ (الكهف ٥٠) فهل الإضلال والإيذاء من الشياطين وحدهم ، أم منهم ومن الجن ؟ليس من الجن ، بل من الشياطين وحدهم .

فإنه من الواضح فى القرآن الكريم : أن العداء الشديد بين الشياطين وبين بنى آدم ، وأن الشيطان قد أصر على ذلك ، يوم أن قال الله عز وجل : ﴿ لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم ، وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين ﴾ (الأعراف ١٦ - ١٧) أى إنه سيظهر بأى شكل وبأى فكر ولن يتورع عن ترك الإنسان لحظة من ليل أو نهار ، كالعدو السمج .

واتفقت كلمة علماء المسلمين على أن الشيطان يتشكل بأى شكل ، حسنا كان الشكل أو قبيحا . إنسانا أو قطة أو حية ، أو ما شابه ذلك . وللعالم شيطان نظيره فى العلم ، وللجاهل شيطان يزين له حسبما يفهم ويدرك . ذلك أمر مجمع على الاعتقاد فيه وهو صحيح .

ولكننا نلفت النظر إلى سحرة يعزمون على الحيات والأفاعى ، فما تفسير ذلك ؟ أحية حقيقية تطيع رجالا ونساء ، وتدخر السم المهلك لما يريد الساحر أو الساحرة ؟ إننى لأشك فى ذلك الشك كله . وأعتقد أن ذلك الذى يكون ، ما هو إلا من شيطان يتعامل مع الساحر . فينقلب الشيطان حية ويراه الناس ، ويتظاهر الساحر بتلاوة أقسام وأدعية ، فتأتى الحية سعيا . ماذا يقول الناس وقتئذ ؟ سيقولون معلم مبارك ، نقصده رغبة أو رهبة وذلك قصد الشيطان لأنه ما يقصد إلّا صرف بنى آدم عن أمر الله .

وهذا الذى فسرنا به عمل المعزم الساحر ، يمكن أن يساعدك على فهم طبيعة عمل المعزم فى عصر الغزالى أبى حامد - العالم الحائر بين العوام والعلماء - طبيعة قوم يتعاملون مع الشياطين رأسا . يقول ما نصه : « وكما يجب صون الصبيان عن مس الحيات ، يجب صون الأسماع عن مختلط تلك الكلمات وكما يجب على المعزم أن لا يمس الحية بين يدى ولده الطفل إذا علم أنه سيقتدى به ويظن أنه مثله . بل يجب عليه أن يحذره منه بأن يحذر هو فى نفسه ولا يمسها بين يديه ، فكذلك يجب على العالم الراسخ مثله . وكما أن المعزم الحاذق إذا أخذ الحية وميز بين الترياق والسم ، فاستخرج منه الترياق وأبطل السم ، فليس له أن يشح بالترياق على المحتاج إليه . . . . الخ[1] »

---

(١) ص٣٣ المنقذ من الضلال طبعة الجندى بمصر

وإنما نفسر عمل المعزم بالمحالفة مع الشيطان ، لأننا لا نعلم لعمله هذا ، أصلا من كتاب سماوى صحيح أو غير صحيح والكتب التى بأيدينا من وحى الله سواء الذى حرف بعضه أو الذى هو باق على أصله بدون تحريف ، تذم علم السحر ، ولا تذكر له أصولا ولا قواعد . وتبين أن السحر لا حقيقة له ولا تأثير له . فمن أين إذن علم المعزم ؟ ومن أين تعلم ؟ لا يمكن إذن أن نشتبه إلا فى الشيطان الرجيم . يقول الفيلسوف « ديكارت » ما نصه : « سأفترض أنه ليس الله »ـوهو أرحم الراحمين ، وهو المصدر الأعلى للحقيقة - الذى يضلنى . بل شيطان خبيث ذو مكر وبأس شديدين ، قد استعمل ما أوتى من مهارة لإضلالى[1] »

... ...

ولأنه معلوم لدى الناس أن الشياطين تلقى كلاما على أوليائهم من الإنس ، ربما يظن أحد أن الذى نزل بالقرآن على رسول الله ﷺ شيطان من الشياطين . فمن أجل ذلك حتى لا يقول أحد إن محمدا كاهن ، والذى يتنزل عليه من جنس ما تتنزل به الشياطين على الكهنة قال تعالى ﴿ **وما تنزلت به الشياطين . وما ينبغى لهم ، وما يستطيعون . إنهم عن السمع لمعزولون** ﴾ (الشعراء ٢١٠ - ٢١٢) .

وعلى من تتنزل الشياطين ؟ إذا كانوا لم ينزلوا على النبى ، فهل لا ينزلون على سائر البشر أم ينزلون على بعض الناس ؟ لقد أثبت القرآن نزولهم على بعض الناس ﴿ **على كل أفاك أثيم** ﴾ على كل كاذب فاجر ، وهذا النزول بالوسوسة فى القلب أم بالظهور العلنى

---

(١) نقلا عن ص٨٣ المنهج الفلسفى بين الغزالى وديكارت - الدكتور الشيخ محمود حمدى زقزوق مكتبة الانجلو ١٩٧٣ .

المباشر كما يكلم أحدنا صاحبه ؟ لا يستطيع أحد أن يقول بوسوسة القلب فقط لأنه لا يملك دليلا[١] .

والنص هنا واضح فى الظهور العلنى المباشر أكثر من الوسوسة الخفية فى القلب . يقول تعالى : **﴿ هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ؟ تنزل على كل أفاك أثيم . يلقون السمع وأكثرهم كاذبون ﴾** (الشعراء ٢٢١ - ٢٢٣) فى تفسير الكشاف : « الأفاكون يلقون السمع إلى الشياطين ما لم يوحوا إليهم . وترى أكثر ما يحكون به باطلا وزورا . وفى الحديث « الكلمة يتخطفها الجنى . فيقرها - يصبها ويلقيها - فى أذن وليه . فيزيد فيها أكثر من مائة كذبة « ١هـ » .

والشيطان هو سبب كل شر ، وباب كل كفر . وطريق كل باطل . ذلك أمر قد قرره القرآن وبينه بيانا واضحا فى قوله تعالى :

---

(١) فى البخارى عن أبى هريرة ، قال : وكلنى رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان ، وذكر قصة . وفيها . فقلت يا رسول الله ، زعم أنه يعلمنى كلمات ينعفنى الله بها ، فخليت سبيله . قال : ما هى ؟ قلت : قال لى : إذا آويت إلى فراشك ، فاقرأ آية الكرسى من أولها ، حتى تختم ﴿ الله لا إله إلا هو الحى القيوم ﴾ وقال لى : لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح . وكانوا أحرص شىء على الخير . فقال النبى ﷺ : أما أنه قد صدقك وهو كذوب . تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال ، يا أبا هريرة ؟ قال : لا قال : ذاك الشيطان وفى تفسير القرطبى فى البقرة ٢٥٥ : وروى لنا عن نوف البكالى أنه قال : آية الكرسى تدعى فى التوراة ولية الله ، يريد يدعى قارئها فى ملكوت السموات والأرض عزيزا . قال : فكان عبد الرحمن بن عوف إذا دخل بيته قرأ آية الكرسى فى زوايا بيته الأربع معناه كأنه يلتمس بذلك أن تكون له حارسا من جوانبه الأربع وأن تنفى عنه الشيطان من زوايا بيته . وروى عن عمر أنه صارع جنيا - يقصد شيطانا - فصرعه عمر - رضى الله عنه - فقال له الجنى : خل عنى حتى أعلمك ما تمتنعون به منا فخلى عنه وسأله . فقال : إنكم تمتنعون منا بآية الكرسى قلت : هذا صحيح وفى الخبر : من قرأ آية الكرسى دبر كل صلاة ، كان الذى يتولى قبض روحه ذو الجلال والإكرام ، وكان كمن قاتل مع أنبياء الله ، حتى يستشهد أهـ [القرطبى ج٣ ص٢٦٩]

كفره « فهو له قرين » وفى الخبر : أن الكافر إذا خرج من قبره يشفع بشيطان لايزال معه حتى يدخلا النار . . وإنهم ليصدونهم عن السبيل ، أى وإن الشياطين ليصدونهم عن سبيل الهدى » أهـ .

ففى كلام هذا الإمام المفسر أن الله يسبب شيطانا لمن يعش عن ذكر الرحمن . وأن هذا الشيطان يدخل النار مع الآدمى الذى أغواه ، وأن الشياطين تحوال إغواء الآدميين . وهذا يدل على أن عمر الآدمى قريب من عمر شيطانه . وأنه إذا ولد آدمى ، يكون له نظير من بنى إبليس ، وهذا الخبر ونصه : « إن الكافر إذا خرج من قبره يشفع بشيطان لايزال معه ، حتى يدخلا النار » هو نص فى أن الآدمى له شيطان ، ويموت الشيطان بموته . فإذا كان آدمى جديد يولد كان شيطان جديد يولد .

والقسم الأول وهم الجن الذين سجدوا لآدم عليه السلام منهم المسلم ومنهم العاصى ومنهم الكافر ، وهم مكلفون بعبادة الله عز وجل على وفق الشرائع التى ينزلها الله عز وجل على أنبياء من الإنس . فقد قال تعالى : ﴿ يا معشر الجن والإنس . ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى ، وينذرونكم لقاء يومكم هذا ؟ ﴾ [الأنعام ١٣٠] ومعنى « منكم » أى فى الخلق والتكليف والمخاطبة . ولما كانت الجن ممن يخاطب ويعقل . قال « منكم » وإن كانت الرسل من الإنس ، وغلب الإنس فى الخطاب كما يغلب المذكر على المؤنث . وقال ابن عباس : رسل الجن هم الذين بلغوا قومهم ما سمعوه من الوحى . وهذا المعنى هو الصحيح فى « منكم » لأن موسى عليه السلام كان مرسلا للإنس والجن من زمانه إلى زمان محمد صلى الله عليه وسلم وأن بعض الجن لما استمعوا القرآن ، عجبوا به وعملوا بما فيه . والجن يستمعون من علماء الإنس ، ويستمعون من علماء منهم ، قد سمعوا من علماء الإنس . لقوله تعالى : ﴿ وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن . فلما حضروه . قالوا : أنصتوا . فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين .

وليس ثمة مانع من القول بأن « تحضير الأرواح » من لهو الشياطين وعبثهم . ذلك لأن الروح الحقيقة للإنسان قد صعدت حال الموت إلى حيث يعلم الله وحده مكان صعودها ولا يمكن أن ترجع إلى الدنيا بوسائل تحضير الأرواح - والذى يحضر حال تحضير الروح هو الشيطان ، ويدعى أنه هو الإنسان المطلوب تحضيره - لقوله تعالى ﴿ **وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون** ﴾ (الأنبياء ٩٥) لا ترجع الأرواح ولا ترجع الأجسام ففى تفسير روح المعانى للإمام الآلوسى : « حرام على قرية » أى على أهل قرية . والحرام مستعار للممتنع وجوده ، بجامع أن كل واحد منهما غير مرجو الحصول « أهلكناها » أى قدرنا هلاكها . . « أنهم لا يرجعون » قال قتادة ومقاتل : لا يرجعون إلى الدنيا [(١)] » .

وفى كتاب الفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم الأندلسى . أن القائلين بتناسخ الأرواح افترقوا على فرقتين : الفرقة الأولى : تقول : إن الأرواح تنتقل بعد مفارقتها الأجساد إلى أجساد أخر ، وإن لم تكن من نوع الأجساد التى فارقت . والفرقة الثانية تقول إن الأرواح لا تنتقل إلا فى أجسادها فقط . واحتجت الفرقة الأولى بقوله تعالى : ﴿ **يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم . الذى خلقك فسواك فعدلك ، فى أى صورة ما شاء ركبك** ﴾ [الانفطار ٦ - ٨] وبقوله تعالى : ﴿ **جعل لكم من أنفسكم أزواجا ، ومن الأنعام أزواجا . يذرؤكم فيه** ﴾ [الشورى ١١] .

وقد رد عليهم الشيخ ابن حزم رحمه الله تعالى بقوله : المراد بقوله تعالى ﴿ **فى أى صورة ما شاء ركبك** ﴾ إنها الصورة التى ركب الإنسان عليها من طول أو قصر أو حسن أو قبح أو بياض أو

---

(١) روح المعانى للآلوس- سورة الانبياء

سواد وما أشبه ذلك . والمراد بقوله ﴿ يذرؤكم فيه ﴾ أن الله تعالى امتن علينا بأن خلق لنا من أنفسنا أزواجا نتولد منها ، ثم امتن علينا بأن خلق لنا من الأنعام ثمانية أزواج ، ثم أخبر تعالى أنه يذرؤنا فى هذه الأزواج يعنى التى هى من أنفسنا[١] .

ولأن القرآن لم يذكر أصول التحضير وقواعده ، والكتب السابقة على القرآن لم تذكر أيضا ، يكون الذى يتكلم حال تحضير الروح هو شيطان من الشياطين ، ليلبس على الناس دينهم .

ومن الأدلة على أن تحضير الأرواح من لهو الشياطين وعبثهم : ما نشاهده بأعيننا من حال المصروعين والمصروعات .

أعرف شخصا سليم الجسم والعقل . اعترته حالة من الصرع ، وبينما يكون ماشيا سليما ، فجأة نراه قد وقع على الأرض . ويكون جالسا معتدلاوفجأة نراه ينام وينبعث منه صوت غير صوته . وبعد أيام من هذه الحالة نطق ناطق مسيطر على جسده وحسه ، وقال : أنا الشيخ فلان كنت عاصيا وتبت - وهذا منه عجيب ، إذ لو كان قد تاب لخرج منه ، وما آذاه بعد التوبة - ثم اصطفى من بين الحاضرين الذين كانوا يلازمون المصروع ، واحدا كان قد حج واعتمر ، وعلمه آيات من القرآن كالآيات التى علمها الشيطان لأبى هريرة رضى الله عنه . إذا قرأها نشاهد الشخص المصاب بالصرع ، قد نام فجأة وظهر الذى يتكلم ويتحدث حديثا كواحد من الحاضرين . ثم ينصرف وبعد مدة صح الشخص وشفى ، ولم يعد يحضر ذلك الذى كان يسيطر على جسده وحسه .

إن الذى سيطر على الجسد والحس هو شيطان . وإنه كان يتكلم ونسمع صوته ولا نرى شخصه . كما قال الله عنه : ﴿ إنه يراكم هو

---

(١) الفصل لابن جزم ج ١

وقبيله من حيث لا ترونهم ، إنا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون ﴾ (الاعراف ٢٧) وكما قال الله عنه : ﴿ واستفزز من استطعت منهم بصوتك ﴾ وقد أخبرنى شخص أن شيطانا نصحه بقوله : إن لنا مناطق محددة من الأرض ، وإذا استولى شيطان على إنسان ، وترك مسكنه إلى مسكن آخر ، فى بلد غير بلده ، فإن الشيطان الذى استولى عليه يفارقه . وحكى كثيرون من العلماء : أن المرأة التى يلبسها الشيطان إذا ضربت ، يتأذى الشيطان ويخرج . وكذلك الرجل[1] .

وكنت ألقى درسا بعد صلاة الجمعة فى مسجد الكلية الحربية بمصر . ورأيت من المستمعين رجلاً صرخ بصوت غير مفهوم وارتمى الى الأرض ، ثم اعتدل وسكت . ولما انصرفت من المسجد تبعنى هذا الرجل ومشى معى وسألنى : هل من الممكن أن تسيطر جنية على جسد إنسان ؟ فأجبته بنعم . فقال : إن المشايخ الذين سألتهم هذا السؤال أجابوا بالنفى . ثم قال أنا تسيطر علىّ جنية وتؤذينى . فقلت له : صف لىَ حالتك . فقال : إذا جلست للعب الشطرنج أو انصرفت الى أعمال ليس فيها عبادة لله تركتنى ، وإذا قمت للوضوء والصلاة أشعر بسريان شىء فى جسدى وبضغط شديد على جسمى وباختناق نفسى . وإذا انصرفت الى غير العبادة والذكر أشعر بالخفة والراحة والنشاط ، فقلت له : إن شيطانة مستولية عليك . فقال : وما العلاج ؟ قلت : انقل نفسك من القاهرة إلى مدينة اخرى . وهى لن تنتقل معك . وفجأة رأيت هذا الرجل قد وقع على الأرض ، وانبعث منه صوت شديد ، فيه تهديد ووعيد . ثم اعتدل الرجل ومشى . ونظر الىّ قائلاً : هل سمعت وهل رأيت ؟ فقلت :

---

(١) لابن تيمية ولابن قيم الجوزية كلام حسن فى هذا الموضوع .

نعم . قال : انها هددت وقالت لى : لو رحت لآخر الدنيا فإنى لن أتركك . فقلت له : لا تخف . واسمع نصيحتى ، وانتقل ، وعندئذ رأيته قد وقع على الأرض . وانبعث منه نفس الصوت السابق الذى فيه التهديد والوعيد . ثم اعتدل وقال لى : انها هددتنى وتوعدتنى . فقلت له : انتقل ولا تخف . ثم افترقنا . ولم أره بعد ذلك .

وكما يحدث الصرع والجنون بسبب تسلط الشيطان على الإنسان ، وذلك معروف بالمشاهدة ؛ يحدث تأثير من الشيطان على إنسان فى وقت الجماع الحلال ، فتهبط قدرته وقت مضاجعته المرأة أو تمحى شهوة المرأة . وقد نسب العوام هذا الإحباط إلى الطلاسم.مع أنه لا يحدث مع الزناة والفسقة . وإنى لأتساءل لماذا لا يحدث الربط إلّا فى الزواج الذى شرعه الله وأباحه ، ولا يحدث مع الزنا الذى حرمه الله ونهى عنه ؟ أليس ذلك من وسائل الشيطان ليصرف بنى آدم عن التقوى إلى الإثم ، وليلجأهم إلى إنسان حليف للشيطان ، وليبعدهم عن الله الذى يستطيع وحده كشف الضر ، ويجيب المضطر إذا دعاه ؟

وقد تحدث المتعة المحرمة التى هى الاستمتاع بين شيطان وامرأة وتراه وتلمسه كما ترى زوجها أثناء الجماع وتلمسه .

أيام كنت مدرسا فى المعاهد الدينية الأزهرية سنة ١٩٦٨م فى معهد المنصورة الدينى مثل رجل أما جماعة العلماء وقال : امرأتى أدخل عليها أحيانا حجرة النوم . فأجدها مستلقية على ظهرها ، وأسمع منها صوتا ناعما هو نفسه الصوت الذى أسمعه منها إذا ما رفعت رجليها ، وأنظر إلى يديها كأنها تحتضن زجلا ، وأرى ساقيها يتحركان . ولا تأبه بى ، ولا تلتفت إلىّ حالئذ ، فحدثت نفسى ذات مرة أن أتحسس بيدى كالأعمى ، بعدما أخبرتنى أن شيطانا يأتيها . وما أن فعلت حتى منعت بقوة . ولما سكت الرجل عن حكاية

الواقعة . سكت العلماء عن الإجابة ، وأحالوا إلى واحد منهم ما كان حاضرا ولما ذهب إليه ابتدره بقوله : هل من الممكن يا مولاى زواج جنى بإنسية ؟ فأجاب بقوله وكيف يلتقيان ؟ قال الرجل : أخبرنى عن حكم الله ، فأنا أسألك عنه ، ولا أسألك عن الإمكان . .

إن امرأة هذا الرجل فاجرة خبيثة استملحها شيطان ، فراودها ، فلم تمتنع ، وبوسعها أن تمتنع ، فإن كيدها أقوى من كيد الشيطان . لقوله تعالى ﴿ **وقال الشيطان لما قضى الأمر ؛ إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم . وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى . فلا تلومونى ولوموا أنفسكم** ﴾ (إبراهيم ٢٢) .

. . .　　. . .　　. . .　　. . .　　. . .　　. . .

وحيل الشياطين كثيرا ما تكون بين الأتقياء والعلماء وطلاب العلم ، إما بفتح أبواب كثيرة للخير توصل إلى تسع وتسعين ليوقعهم فى باب من أبواب الشر . وإما بتكثير الهموم وتثبيط الهمم ، وإما بالمغريات الصارفة عن معالى الأمور ، أما أن ذلك بالوسوسة فواضع لللعماء ، وأما أن ذلك بالظهور العلنى والشك فيه ممن لم يشاهد ممكن معقول . ولكن بغير دليل .

قال لى صديق من الهند يدرس فى الأزهر إنه فى زمن قديم كانت الجامعة التى حصل منها على الليسانس ، يترك الطلاب مكانا خاليا فى قاعة الدرس لحضور الجن . وإنهم كانوا يحضرون علنا أحيانا يسمعون ، وبعض الطلاب كان يجد نساء من الجن يعرضن خدمات وهدايا ، ونقودا يضعنها تحت الوسائد .

. . .　　. . .　　. . .

وإنى لأنصح الأتقياء والعلماء وطلاب العلم ألا يغلوا فى

الدين ، ولا يقولوا على الله غير الحق ، وأن يكون هدفهم القرآن حفظاً وفهما وعملا ، لهم ولغيرهم ،وألا يركنوا إلى الدنيا فإن الركون إليها من حيل الشيطان ، وأن يسامح بعضهم بعضا إذا ما أخطأوا ، لأن الذى أخطأ وراءه شيطان دفعه إلى الخطأ ويكون مثلهم كمثل أخوين من أب وأم ، يوقع العداوة بينهما ليريب عنهما ، إذا سمعا له هلكا ، وإذا استيقنا من عداوته ولم يسمعا له نجيا . وفى ذلك يقول تعالى : **﴿ وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن ، إن الشيطان ينزغ بينهم ، إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا ﴾** (الاسراء ٥٣) .

وقد نصح عيسى عليه السلام تلاميذه بهذه النصيحة . نصحهم بالتواضع والعفو والصفح ، وبين أن الشيطان لهم بالمرصاد . يقول لوقا : « وكان بينهم أيضا مشاجرة . من منهم يظن أنه يكون أكبر ؟ فقال لهم : ملوك الأمم يسودونهم . والمتسلطون عليهم يدعون محسنين . وأما أنتم فليس هكذا ، بل الكبير فيكم ليكن كالأصغر . والمتقدم كالخادم ، لأن من هو أكبر ؟ الذى يتكىء أم الذى يخدم ؟ أليس الذى يتكىء ؟ ولكن أنا بينكم كالذى يخدم . أنتم الذين ثبتوا معى فى تجاربى . . سمعان . سمعان[1] : هو ذا الشيطان طلبكم لكى يغربلكم كالحنطة . ولكنى طلبت من أجلك ، لكى لا يفنى إيمانك . وأنت متى رجعت ، ثبت إخوتك » (لوقا ٢٢ : ٢٤ - ٣٢) .

وفى القرآن الكريم أن الشيطان بالمرصاد للرسل والأنبياء ، وللعلماء أيضا . لأنهم ورثة الرسل والأنبياء قال تعالى : **﴿ وما أرسلنا من قبلك ، من رسول ولا نبى ، إلا إذا تمنى ، ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ، ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم . ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم**

---

(١) اسمه فى كتب تفسير القرآن القديمه (شمعون الصفا) .

مرض ، والقاسية قلوبهم ، وإن الظالمين لفى شقاق بعيد ، وليعلم الذين أوتوا العلم. أنه الحق من ربك ، فيؤمنوا به ، فتخبت له قلوبهم . وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم ﴾ (الحج ٥٢ - ٥٤) ومَن الذى - مع هذا البيان - يستطع أن ينكر وسوسة الشيطان ، الوسوسة الخفية أو الوسوسة عيانا جهارا ؟ إن من ينكر ذلك كمن ينكر نفسه ، لأنه ما من عالم يحمل رسالة لهداية الناس إلا ويحس بأن الشيطان يحمله على الهدوء ، ويلقى فى روعه أن مجاملة الناس خير من التعرض لهم ، مخافة أن يسلقوه بألسنة حداد . ما من رسول ولا نبى إلا يتمنى أن يكون الناس مهتدين وصالحين . وأن تثمر دعوته . والشيطان يأتى إليه ويعده ويمنيه بالخير إن سكت . وإنه لو سكت لأثمرت جهود الشيطان فى أن لا يعبد الله فى الأرض . والله تعالى يزيل من قلوب الرسل والأنبياء وساوس الشيطان . ويأبى إلا أن يتم نوره ، وتنتشر شريعته .

ولو لم تكن للشيطان وسوسة ، ولو لم تكن للمرء إرادة أن ينتصر على الشيطان ، ما كنت تجد قوى الإيمان مميزا عن ضعيف الإيمان . فإن قوة الإيمان لا تظهر إلا عند المحن . كما أن فضل العلماء لا يظهر إلا بالصبر على طلب العلم .

وقد بين الله تعالى لعباده فى القرآن الكريم أنهم قادرون على فعل الخير وعلى فعل الشر ، وأنهم ليسوا بمسيرين ولا مجبرين على أفعالهم . وذلك فى آيات منها : ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم ، حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ [الرعد ١١] أى أنهم إذا غيروا عاداتهم ، غير الله طرق حياتهم ، وهذا يدل على ألله منح العبد قدرة على الفعل . ولو كان هو الذى كتب على العبد أفعاله فى اللوح المحفوظ عنده من قبل أن يخلقه ، ما كان يرتب تغيير ما بالأقوام ، على بدء الأقوام بالتغيير ، لا على بدئه هو - عز وجل - ومن الآيات قوله

تعالى : ﴿ **بل طبع الله عليها بكفرهم** ﴾ [النساء ١٥٥] فقد بين أن الطبع على القلب منه لا يكون إلا إذا كفر العبد ، فالعبد يبدأ بالكفر ، ثم الله يطبع، لا أن يطبع ، ثم يكون الكفر من العبد ، هذا لا يصح بحسب الظاهر من النص .

ومن الآيات: قوله تعالى : ﴿ **وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب ، لتحسبوه من الكتاب . وما هو من الكتاب . ويقولون : هو من عند الله . وما هو من عند الله . ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون** ﴾ [آل عمران ٧٨] لو كان كل قول وكل فعل من الله ، والعبد منفذ للمرسوم أزلا ، ولا حرية له ولا اختيار فى إيجاد الفعل ، أو التلفظ بالقول . لكان قولهم عن التحريف إنه من عند الله فى محله ، وما كان الله يرد عليهم بقوله « **وما هو من عند الله** » أى أنه لو كانت كل كلمة تصدر من فم العبد هى من الله ، لما كان يقول « وما هو من عند الله » الذى يدل على أنه من كلامهم أنفسهم ، وقد نطقوا به بإراداتهم التى أدت بهم إلى قول الكذب وهم يعلمون .

وفى التوراة أن الله لم يخلق الإنسان مسيرا ، بل خلقه حرا . ففى الأصحاح الثلاثين من سفر التثنية . ما نصه : « إن هذه الوصية التى أوصيك بها اليوم ، ليست عسرة عليك ولا بعيدة منك . ليست هى فى السماء حتى تقول : من يصعد لأجلنا إلى السماء ويأخذها لنا ويسمعنا إياها ، لنعمل بها ، ولا هى فى عبر البحر ، حتى تقول من يعبر لأجلنا البحر ويأخذها لنا ويسمعنا إياها لنعمل بها . بل الكلمة قريبة منك جدا . فى فمك وفى قلبك لتعمل بها » [تث ٣٠ : ١١ - ١٤]

وفى الإنجيل يقول عيسى عليه السلام : « فكل من يسمع أقوالى هذه ، ويعمل بها ، أشبهه برجل عاقل ، بنى بيته على

الصخر ، فنزل المطر وجاءت الأنهار وهبت الرياح ووقعت على ذلك البيت فلم يسقط . لأنه كان مؤسسا على الصخر . . وكل من يسمع أقوالى هذه ولا يعمل بها ، يشبه برجل جاهل بنى بيته على الرمل ، فنزل المطر وجاءت الأنهار وهبت الرياح وصدمت ذلك البيت ، فسقط ، وكان سقوطه عظيما » [متى ٧ : ٢٤ - ٢٧] .

... ...

وفى القرآن الكريم أن الشيطان قد مس أيوب عليه السلام بنصب وعذاب . وإذا كان أيوب قد لحقه من الشيطان الأذى ، فكيف يمتنع عنه الأشرار من الناس ؟ يقول تعالى : ﴿ واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه : أنى مسنى الشيطان بنصب وعذاب ﴾ (ص٤١) وقد حكى الله عنه ﴿ إنا وجدناه صابرا ﴾ فى تفسير الكشاف : « فان قلت : كيف وجده الله صابرا ، وقد شكا إليه ما به واسترحمه . قلت : الشكوى إلى الله عز وعلا لا تسمى جزعا . ولقد قال يعقوب عليه السلام : « إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله » وكذلك شكوى العليل إلى الطبيب ، وذلك أن أصبر الناس على البلاء لا يخلو من تمنى العافية وطلبها . فإذا صح أن يسمى صابرا مع تمنى العافية ، وطلب الشفاء ، فليسم صابرا مع اللجوء إلى الله تعالى ، والدعاء بكشف ما به ، ومع التعالج ومشاورة الأطباء » .

الفصل الرابع

حقيقة الجنّ والشياطين

بين الله عز وجل فى القرآن الكريم : أنه خلق الجن من قبل أن يخلق آدم . فى قوله تعالى : « وإذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم . فسجدوا إلا إبليس . كان من الجن ، ففسق عن أمر ربه » ووجه الشاهد : أن الملائكة والجن وإبليس ، أمروا بالسجود لآدم حال خلقه . وهذا يدل على أنهم كانوا مخلوقين قبله .

٢ ـ وفى قوله تعالى : « وإذ قلنا للملائكة [١] : اسجدوا لآدم .

---

(١) أعلم : أن الملائكة على الحقيقة هى الأجسام اللطيفة النورانية . ومنهم جبريل وميكال . والملائكة على المجاز تعنى الأتباع . والملائكة فى قوله تعالى : « وإذ قلنا للملائكة » معناه الأتباع . وأتباع الله أى المنفذون لأمره والمسبحون له فى وقت خلقه آدم عليه السلام ، هم الملائكة الذين هم أجسام نورانية ، وهم أيضا الجن والشياطين . ولما أمرهم الله بالسجود لآدم ، امتنع عن السجود إبليس وأبناؤه . والاستثناء فى قوله « إلا إبليس » على المعنى الحقيقى للملائكة منقطع ، مثل قام القوم إلا حمارا . فالحمار ليس من جنس القوم . وعلى المعنى المجازى للملائكة يكون الاستثناء متصلا . لأن الأتباع جنس مستقل بذاته ، عن ضده وهم الخصوم .

ولما فسر المفسرون « الملائكة » فى قوله : « وإذ قلنا للملائكة : اسجدوا لآدم » بالأجسام النورانية » لا بالأتباع . قال النحويون تبعا لتفسيرهم إن « إبليس » مستثنى منقطع ، لأنه من غير جنس الأجسام النورانية التى هى الملائكة . واستشهدوا على قولهم هذا ، بقوله تعالى/: « مالهم به من علم الا اتباع الظن » فإن « اتباع » نصبت بالفتحة ، وهى مستثنى من العلم . على أن اتباع الظنّ ليس من جنس العلم . وقولهم باطل . فإن الظن نوع غير يقينى من العلم اليقينى ، ولا يقدر أحد أن يخرج الظن من أنواع العلم . فإن الأحكام الفقهية فى الغالب مبنيةاعلى أحاديث الآحاد ، والآحاد لايفيد إلا الظن .

=

فسجدوا إلا إبليس . كان من الجن ، ففسق عن أمر ربه . أفتتخذونه وذريته أولياء ومن دونى وهم لكم عدد ؟ » دلالة على أمرين : الأمر الأول : أن إبليس الذى هو الشيطان من الجن . والأمر الثانى : أن الشيطان له ذرية .

٣ ـ وفى القرآن الكريم أن « الجن » منهم المؤمن ومنهم الكافر . وفى القرآن الكريم أن « الشياطين » هم سفهاء الجن ، وليس فيهم من يطيع الله عز وجل إلى يوم القيامة . ففى سورة الجن يقولون : « وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون . فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا . وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا » والمعنى : أنا بعد استماع القرآن مختلفون فمنا من أسلم ومنا من كفر . والقاسط : الجائر ، لأنه عادل عن الحق . والمقسط : العادل . لأنه عادل إلى الحق . يقال : قسط أى جار ، وأقسط إذ عدل . وفى سورة الجن يقولون عن الشيطان الذى انفصل عنهم : « وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا » والسفيه هنا : ابليس . فى قول مجاهد وابن جريج وقتادة .

ومن هذا يتبين :

أن الجن يتناسلون . ولهم ذرية مثل بنى آدم سواء بسواء . وأن الجن فى البدء كانوا يعرفون الله ويعظمونه ويمجدونه ويسبحون بحمده . ولما أمرهم الله تعالى بالسجود لآدم ـ عليه السلام ـ انقسموا إلى قسمين :

واعلم : أن سجود الملائكة لآدم عليه السلام ، فيه دليل على أن بنى آدم أفضل من الملائكة . وسجود الجن لآدم فيه نفس المعنى . ولذلك عرض العفريت خدماته على سليمان عليه السلام فى مجلسه ، ورفضها سليمان وشكره عليها .

وقد استدل ابن عباس على فضل البشر على الملائكة :

بأن الله تعالى أقسم بحياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون » وأمنه من العذاب بقوله : « ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر » وقال للملائكة : « ومن يقل منهم إنى إله من دونه ، فذلك نجزيه جهنم »

قسم أطاع أمر الله وسجد . وقسم لم يطع الأمر وامتنع عن السجود لآدم .

والقسم الذى أطاع وسجد ، هم الجن ، وفيهم المسلم والكافر .

والقسم الذى عصى وامتنع هم الشياطين ، ولن يكون منهم مسلم أو تائب إلى يوم القيامة .

ذلك لأن الذين سجدوا لآدم ، دلوا بسجودهم له ، على أنهم يخضعون له ولبنيه من بعده ، ولا يمكرون بهم ولا يؤذونهم . والممتنع عن السجود ، يدل بامتناعه على أنه لن يخضع ، وإذا قدر على الإيذاء فإنه سيؤذى . وهذا هو المفهوم من السجود ، وعدمه . ولما عكس بنو آدم هذا الذى هو المفهوم من السجود، واعتقدوا أن « الجن » يؤذى زادوا الجن رهقا . لأنهم نسبوا إليهم ماهم برءاء منه من بدء الخليقة . ففى سورة الجن ﴿ وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن ، فزادوهم رهقا ﴾ أى أن الإنس أتعبوا الجن وأرهقوهم بتعوذهم بالله من شرهم ، وهم قد سجدوا لآدم فى البدء علامة على أنهم لن يفعلوا بأبنائه شرا .

وقد تبرأت الجن من الشياطين لوقاحتهم وجرأتهم على الله . فقد حكى الله عنهم : ﴿ وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا ﴾ والشطط هو الغلو فى الكفر ، أو هو الجور ، أو هو الكذب .

وقد حكى الإمام القرطبى فى تفسير سورة الجن : « فلو قال قائل : كيف تتعرض الجن لإحراق نفسها بسبب استماع خبر ، بعد أن صار ذلك معلوما لهم ؟ فالجواب : أن الله تعالى ينسيهم ذلك حتى تعظم المحنة ، كما ينسى إبليس فى كل وقت أنه لا يسلم . وأن الله تعالى قال له : ﴿ وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين ﴾ .

وكيف يعتقد مسلم فى اسلام الشيطان . وقد كتب الله عليه اللعنة

إلى يوم الدين ؟ وكيف يعتقد مسلم فى إسلام الشيطان . وقد قال تعالى فى حقه : ﴿ كتب عليه أنه من تولاه ، فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير ﴾ ؟ .

وقال القرطبى فى سورة الكهف : « سمعت شيخنا الإمام أبا محمد عبدالمعطى بثغر الاسكندرة يقول : إن شيطانا يقال له البيضاوى ، يتمثل للفقراء [١] المواصلين فى الصيام ، فإذا استحكم منهم الجوع وأضر بأدمغتهم ، يكشف لهم عن ضياء ونور ، حتى يملأ عليهم البيوت ، فيظنون أنهم قد وصلوا وأن ذلك من الله . وليس كما ظنوا » .

ومن قوله تعالى : « وذريته » فى قوله : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته ﴾ يعلم الناس أن الشيطان الذى امتنع عن السجود لآدم عليه السلام . كانت له زوجة من جنسه . وأنها شاركته المعصية . وأنه وزوجته أنجبا ذكورا وإناثا . وصار عددهم كعدد بنى آدم فى الأرض . قال الشعبى : « سألنى رجل . فقال : هل لإبليس زوجة ؟ فقلت : إن ذلك عرس لم أشهده . ثم ذكرت قوله : ﴿ أفتتخذونه وذريته أولياء ﴾ فعلمت أنه لاتكون ذرية إلا من زوجة . فقلت : نعم » وعقب القرطبى على قول الشعبى بقوله : « للشيطان ذرية من صلبه » ثم أكد على قوله بما نصه : « قد ذكرنا الحديث الصحيح فى أنه له أولادا من صلبه ، كما قال مجاهد وغيره .

وفى صحيح مسلم عن عبدالله بن مسعود ، قال : فيقول الرجل منهم : سمعت رجلا أعرف وجهه ولا أدرى ما اسمه ، يحدث » .

وعمر الشياطين كعمر الآدميين . لأن العمر إذا طال عن عمر بنى

---

(١) يقصد بالفقراء : أهل التصوف .

آدم ، لكان الولد من بنى الشيطان ، موكلا بآلاف من بنى آدم للإغواء والوسوسة . لأن الآدميين قصار الأعمار . وفى القرآن الكريم أن للمبتعد عن ذكر الله من بنى آدم شيطان واحد . وبنو آدم كثيرون وذلك فى قوله تعالى : ﴿ ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا . فهو له قرين ﴾ . أى أنه لو كان عمر الولد من أولاد الشيطان ممتدا من زمان آدم إلى يومنا هذا ، لكان هذا الولد قد أغوى خلقا كثيرا من زمان آدم إلى هذا اليوم . ولو كان الأمر كذلك ، لكان الشيطان لطول عمره أقوى من الآدمى الذى سيفسده لحداثة سنّه ، وقلة خبرته . وهذا قد نفاه الله تعالى بقوله : ﴿ إن كيد الشيطان كان ضعيفا ﴾ وفى القرآن الكريم أيضا أن المبتعد عن ذكر الله من بنى آدم ، له قرين [١] واحد . وذلك فى قوله تعالى : ﴿ قال قرينه : ربنا ما أطغيته . ولكن كان فى ضلال بعيد ﴾ فالآدمى له قرين واحد ، ويموت قرينه بموته ، أو يعيش قليلا من بعده . وهذا هو الواضح أيضا من قوله تعالى عن الشيطان أن له ذرية ، ومن قوله تعالى عن آدم أن له ذرية . وقياس الغائب على الشاهد جائز فى علم الأصول . قال القرطبى فى تفسيره لسورة ق ﴿ ولكن كان فى ضلال بعيد ﴾ عن الحق . وكان طاغيا باختياره ، وإنما دعوته فاستجاب لى . وقرينه هنا : هو الشيطان ، بغير اختلاف « لا تختصموا لدى » يعنى الكافرين وقرناءهم من الشياطين » أ . هـ .

وقال فى تفسيره لسورة الزخرف : ﴿ ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين ﴾ وقرأ ابن عباس وعكرمة : « ومن يعش » بفتح الشين ومعناه يعمى . وهذه الآية تتصل بقوله أول السورة : ﴿ أفنضرب عنكم الذكر صفحا ﴾ أى نواصل لكم الذكر ، فمن يعش عن ذلك الذكر بالإعراض عنه إلى أقاويل المضلين وأباطيلهم . . نقيض له شيطانا » أى نسبب له شيطانا ، جزاء له على

---

(١) القرين من الشياطين ، والمارد من الشياطين .

﴿ ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا . إن يدعون من دونه إلا إناثا . وإن يدعون إلا شيطانا مريدا . لعنه الله . وقال : لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ، ولأضلنهم ولأمنينهم . ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام . ولآمرنهم فليغيرّن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله ، فقد خسر خسرانا مبينا . يعدهم ويمنيهم ، وما يعدهم الشيطان إلا غرورا ﴾ (النساء ١١٦ - ١٢٠) فى تفسير الكشاف : « نصيبا مفروضا » قال الحسن : من كل ألف تسعمائة وتسعين إلى النار «ولأمنينهم» الأمانى الباطلة من طول الأعمار ، والآمال ورحمة الله للمجرمين بغير توبة والخروج من النار ، بعد دخولها بالشفاعة ونحو ذلك . « يبتكن آذان الأنعام » كانوا يشقون أذن الناقة إذا ولدت خمسة أبطن وجاء الخامس ذكرا ، وحرموا على أنفسهم الانتفاع بها .

وقد أقسم بقوله « لأضلنهم » : والإضلال له صور شتى منها ما هو فى صورة الضلال نفسه كالأمر بالكفر والفسق . ومنها ما هو فى صورة الهدى ولكن الغرض الإضلال ، كأن يتراءى الشيطان للإنسان فى صورة ولى من أولياء الله الصالحين . ويوهمه أنه هو ذلك الولى وقد ظهر له بسبب صلاحه وتقواه ومواظبته على الأوراد والأذكار . ثم يأمره الشيطان بملازمة العبادة والإعراض عن الدنيا وترك السعى فى الأرض . فى حين أن الله يأمر بالعمل والسعى وإلا فلماذا خلقه ؟ ولماذا جعله خليفة ؟ صحيح أن العبادة شرع مفروض . ولكن تكون حسبما كان رسول الله يعبد لقوله ﷺ : « من رغب عن سنتى فليس منى » ولا ينبغى للإنسان أن يزيد أو ينقص عن فعل رسول الله شيئا .

....

قالوا : ياقومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه ، يهدى إلى الحق ، وإلى طريق مستقيم . ياقومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به ، يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم . ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الأرض ، وليس له من دونه أولياء ﴾ [الاحقاف ٢٩ ـ ٣٢] فهم قد استمعوا من محمد صلى الله عليه وسلم كما استمعوا من موسى عليه السلام . والذين استمعوا بلغوا من خلفهم ، ليفهموا ويعملوا .

وفى معنى هذه الآيات :

١ ـ قيل : إن النبى صلى الله عليه وسلم كان يصلى صلاة الغداة فى « بطن نخلة » فى « تهامة » ويتلو القرآن ، فاستمعوا له . وقالوا : « أنصتوا » .

٢ ـ وقيل : بل امر النبى صلى الله عليه وسلم أن ينذر الجن ويدعوهم إلى الله تعالى ويقرأ عليهم القرآن ، فصرف الله عز وجل إليه نفرا من الجن ، من « نينوى » وجمعهم له . فقال النبى صلى الله عليه وسلم لبعض أصحابه : « إنى أريد أن اقرأ القرآن على الجن الليلة . فأيكم يتبعنى »؟ فأطرقوا . ثم قال الثانية فأطرقوا ، ثم قال الثالثة فأطرقوا . فقال ابن مسعود : انا يا رسول الله . قال ابن مسعود : ولم يحضر معه أحد غيرى . فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة ، دخل النبى صلى الله عليه وسلم شعبا ، يقال له : « شعب الحجون » وخط لى خطا ، وأمرنى أن أجلس فيه . وقال : « لا تخرج منه حتى أعود إليك » ثم انطلق حتى قام فافتتح القرآن . فجعلت أرى أمثال النسور تهوى وتمشى فى رفرفها ، وسمعت لغطا وغمغمة ، حتى خفت على النبى صلى الله عليه وسلم ، وغشيته أسودة كثيرة حالت بينى وبينه ، حتى ما أسمع صوته ، ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ، ذاهبين . ففرغ النبى صلى الله عليه وسلم مع الفجر . فقال : « أنمت » ؟ قلت . لا والله

ولقد هممت مرارا أن أستغيث بالناس حتى سمعتك تقرعهم بعصاك تقول : اجلسوا . فقال : « لو خرجت لم آمن عليك أن يخطفك بعضهم » .

٣ ـ وقيل : إن ابن مسعود لم يشهد مع النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الجن . فقد قال فى رواية علقمة : « ماشهدت ليلة الجن » وقال الدارقطنى : هذا إسناد صحيح .

وعن عمرو بن مرة ، قال : قلت لأبى عبيدة : حضر عبدالله بن مسعود ليلة الجن ؟ فقال : لا .

٤ ـ وفى قوله تعالى : ﴿ **ياقومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به ، يغفر لكم من ذنوبكم ، ويجركم من عذاب أليم** ﴾ يقول القرطبى ـ رحمه الله ـ : « هذه الآى تدل على أن الجن كالإنس ، فى الأمر والنهى والثواب والعقاب . وقال الحسن : ليس لمؤمنى الجن ثواب غير نجاتهم من النار . يدل عليه قوله تعالى : ﴿ **يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم** ﴾ وبه قال أبو حنيفة . قال : ليس ثواب الجن إلا أن يجاروا من النار ، ثم يقال لهم : كونوا ترابا مثل البهائم . وقال آخرون : إنهم كما يعاقبون فى الإساءة ، يجازون فى الإحسان ، مثل الإنس . وإليه ذهب مالك والشافعى وابن أبى ليلى » أهـ .

٥ ـ واختلف الناس فى رؤية النبى صلى الله عليه وسلم للجن . هل رآهم أم لا ؟ فظاهر القرآن يدل على أنه لم يرهم . لقوله تعالى : « استمع » وقوله تعالى : ﴿ **وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن** ﴾ وفى صحيح مسلم عن ابن عباس ، قال : ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن وما رآهم . وقيل : إن النبى صلى الله عليه وسلم رأى الجن ليلة الجن .

٥ ـ واختلف أهل العلم فى أصل الجن . فروى الضحاك عن ابن

عباس : أن الجن هم ولد الجان ، وليسوا بشياطين . وهم يؤمنون ، ومنهم المؤمن ومنهم الكافر . والشياطين هم ولد إبليس .

وفى قوله تعالى حكاية عن الجن : ﴿ وأنا منا الصالحون ، ومنا دون ذلك . كنا طرائق قددا ﴾ يقول القرطبى : هذا من قول الجن ، أى قال بعضهم لبعض ، لما دعوا أصحابهم إلى الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم . و « طرائق قددا » أى فرقا شتى . أو أديانا مختلفة أو أهواء متباينة . والمعنى أى لم يكن كل الجن كفارا ، بل كانوا مختلفين . منهم كفار ، ومنهم مؤمنون صلحاء ، ومنهم مؤمنون غير صلحاء . وقال المسيب : كنا مسلمين ويهود ونصارى ومجوس . وقال السدّى فى قوله تعالى « طرائق قددا » قال : فى الجن مثلكم قدرية ومرجئة وخوارج ورافضة وشيعة وسنية .

هذا عن القسم الأول الذى سجد لادم .

وأما القسم الثانى الذى امتنع عن السجود ـ وهم بنو إبليس ـ فقد حكى الله عنه فى القرآن الكريم مانصه فى سورة الأعراف :

﴿ ولقد خلقناكم ثم صورناكم ، ثم قلنا للملائكة : اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين قال : مامنعك ألا تسجد إذ أمرتك ؟ قال : أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين . قال : فاهبط منها . فما يكون لك أن تتكبر فيها ، فاخرج إنك من الصاغرين . قال : أنظرنى إلى يوم يبعثون . قال : إنك من المنظرين . قال : فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم . ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين . قال : اخرج منها مذءوما مدحورا ، لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين . ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة . فكلا من حيث شئتما ، ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين . فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما وورى عنهما من سوءاتهما وقال :

مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة ، إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين . وقاسمهما إنى لكما لمن الناصحين . فدلاهما بغرور . فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة . وناداهما ربهما : ألم أنهكما عن تلكما الشجرة ، وأقل لكما : إن الشيطان لكما عدو مبين ؟ قالا : ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين . قال : اهبطوا بعضكم لبعض عدو . ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين . قال : فيها تحيون ، وفيها تموتون ، ومنها تخرجون : يابنى آدم . قد أنزلنا عليكم لباسا ، يوارى سوءاتكم وريشا . ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون . يابنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة . ينزع عنهما لباسهما ، ليريهما سوءاتهما . إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم . إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون ﴾ [الأعراف ١١ ـ ٢٧] .

ففى هذا النص الكريم بيان لأصل العدواة بين بنى آدم عليه السلام وبين بنى إبليس لعنه الله . وفيه أن آدم تاب وندم ، وإبليس أصر على عصيان الله . وفيه الحكم على إبليس بأنه لن يسلم وجهه لله ، ولذلك كان جزاؤه هو ومن اتبعه : الخلود فى جهنم . وفيه تحذير من الله تعالى لبنى آدم أن لا يسمعوا لوساوس الشيطان ، وأن يسمعوا لكلام الله الذى أوحاه اليهم عن طريق أنبيائه ورسله .

وقد حكى رجل هذه الحكاية وهى : أن جنيا كان يلبس جسد رجل ويصرعه ، ثم إنه خرج منه لما توسل إليه شيخ أن يخرج منه . وبعد خروجه أسلم الجنى وحسن إسلامه . وأجيب عنها بأن فى هذه الحكاية ثلاثة أشياء : ١ ـ جنى ٢ ـ ولبس جسدا وصرعه ٣ ـ وأسلم . ولأنه لبس جسدا وصرعه ، لايكون جنيا من الجن الذى سجد لآدم ، بل يكون شيطانا من الشياطين التى لم تسجد لآدم لأن الذين سجدوا لايتصلون بالإنس بنفع أو ضرر . ولأنه شيطان يكون إظهاره

للإسلام ، ماهو إلا ليلبس على الناس دينهم . كما جاء فى صحيح مسلم عن عبدالله بن مسعود . قال : « إن الشيطان ليتمثل فى صورة الرجل ، فيأتى القوم فيحدثهم بالحديث من الكذب ، فيتفرقون . فيقول الرجل منهم : سمعت رجلا أعرف وجهه ، ولا أدرى ما اسمه ، يحدّث » أ هـ وكيف يسلم وقد قال الله عنه إنه ﴿ كان من الكافرين ﴾ [البقرة ٣٤] وكيف يسلم وقد قال الله له : ﴿ وان عليك لعنتى إلى يوم الدين ﴾ [ص ٧٨] ؟ وكيف يسلم وقد وعده الله بالنار فى قوله له : ﴿ لأملأن جهنم منك ﴾ ؟ وقال عن بنى آدم : ﴿ وممن تبعك منهم ﴾ فأتى بمن التى تفيد التبعيض فى حق بنى آدم فى دخول جهنم ، أى بعض بنى آدم يكونون فى جهنم ، وفى حق الشياطين لم يعبر بالبعض ، بل عبر بأن جميعهم فى جهنم . فكيف يسلمون ؟ ومن أجل هذا المعنى ، أوّل بعض المحدثين حديثا ورد بطريق الآحاد ، يدل على أنه كان للنبى صلى الله عليه وسلم شيطان أعانه الله عليه فأسلم . أولوه بأن النبى صلى الله عليه وسلم قد سلم من أذاه ، لا أن الشيطان نفسه قد أسلم . ويغنى عن تأويلهم هذا ، أن يقولوا : إن الحديث آحاد ، أو أن يقولوا : إنه حديث غير مفسر لآيات من القرآن .

وقد وردت فى التوراة قصة أيوب عليه السلام . وفيها ان الشيطان مسه بنصب وعذاب . وأراد أن يصرفه عن طاعة الله ، ولم يقدر على صرفه . وأول سِفره : « كان رجل فى أرض عوص اسمه أيوب . وكان هذا الرجل كاملا ومستقيما ، يتقى الله ويحيد عن الشر ، وولد له سبعة بنين وثلاثة بنات . . . وكان ذات يوم أنه جاء بنو الله [1] ليمثلوا أمام الرب ، وجاء الشيطان أيضا فى وسطهم . فقال الرب للشيطان : من أين جئت ؟ فأجاب الشيطان الرب . وقال : من الجولان فى الأرض ومن التمشى فيها . فقال الرب للشيطان : هل جعلت قلبك على عبدى

(١) يقصد المؤمنون بالله فى صلاة جماعية .

أيوب . لأنه ليس مثله فى الأرض . رجل كامل ومستقيم يتقى الله ويحيد عن الشر ؟ فأجاب الشيطان الرب وقال : هل مجانا يتقى أيوب الله ؟ أليس أنك سيجت حوله وحول بيته وحول كل ماله من كل ناحية . باركت أعمال يديه فانتشرت مواشيه فى الأرض . ولكن أبسط يدك الآن ومس كل ماله ، فإنه فى وجهك يجدّف عليك . فقال الرب للشيطان : هو ذا كل ماله فى يدك . وإنما إليه لا تمد يدك . ثم خرج الشيطان من أمام وجه الرب » .

وسلط الشيطان أهل « سبأ » على مواشى أيوب فأخذوها . وأنزل نارا فأحرقت الغنم والغلمان . وسلط « الكلدانيين » على جماله . وأهب رياحا شديدة على بيته فأسقطته على أبنائه وبناته « فقام أيوب ومزق جبته وجز شعر رأسه وخر على الأرض وسجد . وقال : عريانا خرجت من بطن أمى . وعريانا أعود إلى هناك . الرب أعطى والرب أخذ . فليكن اسم الرب مباركا . فى كل هذا لم يخطىء أيوب ، ولم ينسب لله جهالة .

وكان ذات يوم أنه جاء بنو الله ليمثلوا أمام الرب ، وجاء الشيطان أيضا فى وسطهم ليمثل أمام الرب . فقال الرب للشيطان : من أين جئت ؟ فأجاب الشيطان الرب . وقال : من الجولان فى الأرض ، ومن التمشى فيها ، فقال الرب للشيطان : هل جعلت قلبك على عبدى أيوب . لأنه ليس مثله فى الأرض . رجل كامل ومستقيم يتقى الله ويحيد عن الشر . وإلى الآن هو متمسك بكماله . وقد هيجتنى عليه لأبتلعه بلا سبب فأجاب الشيطان الرب وقال : جلد بجلد وكل ما للإنسان يعطيه لأجل نفسه . ولكن أبسط الآن يدك ومس عظمه ولحمه ، فإنه فى وجهك يجدف عليك . فقال الرب للشيطان . هاهو فى يدك ، ولكن احفظ نفسه .

فخرج الشيطان من حضرة الرب وضرب أيوب بقرح ردىء من

باطن قدمه إلى هامته . فأخذ لنفسه شقفة ليحتك بها وهو جالس فى وسط الرماد . فقالت له امرأته : أنت متمسك بعد بكمالك ؟ بارك الله ومت [١] : فقال لها : تتكلمين كلاما كإحدى الجاهلات . أالخير نقبل من عند الله والشر لا نقبل ؟ .

وفى نهاية سفر أيوب مانصه : « وبارك الرب آخرة أيوب أكثر من أولاه . وكان له أربعة عشر ألفا من الغنم وستة آلاف من الإبل وألف فدان من البقر وألف أتان . وكان له سبعة بنين وثلاث بنات . وسمى اسم الأولى يميمة ، واسم الثانية قصيعة ، واسم الثالثة قرن هفوك . ولم توجد نساء جميلات كبنات أيوب فى كل الأرض وأعطاهن أبوهن ميراثا بين إخوتهن . وعاش أيوب بعد هذا مائة وأربعين سنة ، ورأى بنيه وبنى بنيه إلى أربعة أجيال . ثم مات أيوب شيخا وشبعان الأيام » [أيوب ٤٢ : ١٢ - ١٧] .

وفى هذا النص من التوراة : أن المؤمنين بالله لما اجتمعوا لعبادته ، وكان الشيطان معهم فى مكان العبادة . سأله الرب - حسب ظاهر النص - : من أين جئت ؟ كما سأل ملائكته وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادى ؟ فيقولون تركناهم وهم يصلون . فيقول : اشهدوا يا ملائكتى أنى قد غفرت لهم كما فى حديث نبوى شريف . وأجاب الشيطان : من الجولان فى الأرض ومن التمشى فيها . وأراد الله عز وجل أن يبين للشيطان أن عباده ليس له عليهم من سلطان : وخلى بينه وبين أيوب ليفتنه . ولم يقدر الشيطان على أيوب . ومن هذا النص يتبين : أن التوراة صرحت بإغواء الشياطين لبنى آدم كما صرح القرآن الكريم .

وفى دنيا الناس أمثلة على مكائد الشياطين لبنى آدم . . فإنك تكون جالسا فى بيت وتجد أثر حركات وأصوات ، ولا تتبين الذى يفعل وماهو

---

(١) تقصد أن ينتحر لأن الله تخلى عنه .

إلا شيطان . ورأى الناس ذات يوم حجارة تلقى من أعلى بيت ، وسريرا قد حول من مكانه ، بدون فاعل مرئى . والذى ألقى وحول ما هو إلا شيطان ، ليرعب بنى آدم بفعله . وحوادث من هذا القبيل حيرت رجال الأمن العام والشرطة ، وأفزعتهم ، وما علموا لها سببا . والله نسأل أن يحفظنا منهم بفضله ورحمته ، إنه على ما يشاء قدير . وهو نعم المولى ونعم النصير . .

وفى الإنجيل : صرح عيسى عليه السلام بأن الشيطان ليس فيه حق ، وأن الشياطين صرفت اليهود عن طاعة الله . ففى الأصحاح الثامن من إنجيل يوحنا يقول لعلماء بنى إسرائيل : « أنتم من أب هو إبليس ، وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا . ذاك كان قتالا للناس من البدء ولم يثبت فى الحق ، لأنه ليس فيه حق . متى تكلم بالكذب فإنما يتكلم مما له ، لأنه كذاب وأبو الكذاب . وأما أنا فلأنى أقول الحق لستم تؤمنون بى . من منكم يبكتنى على خطية ؟ فإن كنت أقول الحق فلماذا لستم تؤمنون بى . الذى من الله يسمع كلام الله . لذلك أنتم لستم تسمعون ، لأنكم لستم من الله .

فأجاب اليهود . وقالوا : ألسنا نقول حسنا : إنك سامرى وبك شيطان ؟ » [٨ : ٤٤ - ٤٨]

وبعدما بين عيسى عليه السلام أن الذى لا يعمل بإرادة الله ، يكون خاضعا لإرادة إبليس ؛ بين أن الشيطان إذا أرهق إنسيا من بنى آدم بالصرع وغيره ، لا يخرجه شيطان من جنسه . ذلك لأن الشياطين متعاونة على إرهاق بنى آدم . فإذا أرهق شيطان إنسيا وطرده منه شيطان مثله ، فقد بطل عمل الشياطين فى الأرض .

وعلى هذا : لا يخرج الشيطان من انسان إلا رجل صالح مطيع لله . ففى الأصحاح الحادى عشر من انجيل لوقا : « وكان يخرج شيطانا ، وكان ذلك أخرس . فلما أخرج الشيطان تكلم الأخرس . فتعجب

الجموع . وأما قوم منهم فقالوا : ببعلزبول رئيس الشياطين يخرج الشياطين ، وآخرون طلبوا منه آية من السماء يجربونه ، فعلم أفكارهم ، وقال لهم : كل مملكة منقسمة على ذاتها تخرب ، وبيت منقسم على بيت يسقط . فإن كان الشيطان أيضا ينقسم على ذاته ، فكيف تثبت مملكته ؟ لأنكم تقولون : إنى ببعلزبول أخرج الشياطين . فإن كنت أنا ببعلزبول أخرج الشياطين . فأبناؤكم بمن يخرجون ؟ لذلك هم يكونون قضاتكم . ولكن إن كنت بإصبع الله أخرج الشياطين . فقد أقبل عليكم ملكوت الله . . .

وفيما هو يتكلم بهذا رفعت امرأة صوتها من الجمع وقالت له : طوبى للبطن الذى حملك ، والثديين اللذين رضعتهما . أما هو فقال : بل طوبى للذين يسمعون كلام الله ويحفظونه » [لو ١١ : ١٤ - ٢٨] .

وفى الأصحاح الثانى والعشرين من إنجيل لوقا : أن الشيطان دخل فى « يهوذا الاسخريوطى » ليدل الرومان على عيسى ليقتلوه . وقال عيسى عليه السلام لأتباعه فى شخص سمعان بطرس : « هو ذا الشيطان طلبكم لكى يغربكم كالحنطة » [لوقا ٢٢ : ٣١] .

ومن نصوص الإنجيل هذه يتبين : أن عيسى عليه السلام صرح بعداوة الشياطين لبنى آدم ، كما صرحت التوراة وصرح القرآن الكريم .

وفى القرآن الكريم هذا النص : ﴿ وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير ﴾ [النمل ١٧] وفيه هذا النص : ﴿ ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ، ثم أناب . قال : رب اغفر لى وهب لىّ ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى . إنك أنت الوهاب . فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب ، والشياطين كل بناء وغواص . وآخرين مقرنين فى الأصفاد ﴾ [ص ٣٤ - ٣٨] .

من هذين النصين الكريمين يتبين : أن من جنود سليمان : الجن . ولم يعبر بالجن . بل ببعضهم ، فقال : ﴿ من الجن ﴾ وقوله ﴿ من الجن ﴾ فسره فى النص الثانى بقوله ﴿ والشياطين ﴾ أى أن المسخر لسليمان عليه السلام هم الشياطين . والشيطان « كان من الجن ففسق عن أمر ربه » وعلى هذا يتبين أن سليمان عليه السلام لم يسخر من الجن الذى سجد لآدم ، بل سخر من الجن الذى امتنع عن السجود . وهذا واضح لا لبس فيه .

والذى يحتاج إلى إيضاح ما جاء فى سورة النمل . وهو قوله تعالى : ﴿ وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير ﴾ وقوله تعالى فى نفس السورة : ﴿ قال عفريت من الجن : أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك ، وإنى عليه لقوى أمين ﴾ فهل العفريت من الجن الذى سجد لآدم ، أم هو من جنس الشياطين الذين لم يسجدوا ؟ إن قلنا : إنه من الجن الذى امتنع عن السجود لآدم . فإن القول لا يصح لأن الله وصفه بالأمانة فى قوله : ﴿ وإنى عليه لقوى أمين ﴾ والشيطان غير أمين . وإن قلنا : إنه من الجن الذى سجد ، فوصف الأمانة منطبق عليه . لكن يرد عليه أن بعض المفسرين والمحدثين جعلوه من جنس الشياطين ولم يفطنوا إلى أنه ﴿ قوى أمين ﴾ وكلام الله أقوى من كلامهم .

وهذا الذى قال : ﴿ أنا آتيك به قبل أن تقوم مقامك ﴾ يعنى فى مجلسك الذى تحكم فيه ، كان قوله : على سبيل التطوع فى المجلس . لا على سبيل الأمر من سليمان عليه السلام . وعلى هذا ، لا يكون هذا العفريت من جنس الشياطين المسخرين لسليمان عليه السلام ، بل هو من الجنس الذى سجد لآدم . وكان حضوره كحضور الإنس فى المجلس للكرامة . وتطوع بإحضار عرش الملكة من اليمن . وحضوره فى المجلس يدل على خصوصية لسليمان عليه السلام ليست لغيره من الأنبياء لقوله تعالى عنه : ﴿ رب اغفر لى وهب لى ملكا ، لا ينبغى

لأحد من بعدى . إنك أنت الوهاب ﴾ .

والشياطين إذا تعاونت مع رجل فاسق أو امرأة فاسقة ، لا يدل تعاونها على ملك الرجل أو للمرأة كملك سليمان عليه السلام فى أنه سخر كما سخر . فإن الشياطين توحى إلى هذا الرجل أو إلى هذه المرأة بفعل أمر معين . فيفعلان ولا يعترضان . فالآمر هو الشيطان ، لا الرجل . أو المرأة . وإذا عصى أحدهما أو كليهما ، آذاهما الشيطان . أما سليمان فإنه كان هو الآمر للشيطان ، وإذا امتنع الشيطان عن تنفيذ الأمر أهانه سليمان وأذله .

الفصل الخامس

الرَّصـد والطـلاسم

■ **أولا : الرصد**

قال الله تعالى : ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول ، فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ﴾ [الجن ٢٦ - ٢٧] .

مامعنى « من رسول » ؟ ظن بعض المفسرين أن المراد بالرسول هنا الرسول الحقيقى من البشر ، المصطفى من الله لأداء رسالة معينة . ولذلك صيانة للوحى ، فسروا الرصد بأنه ملائكة يحفظون الرسول عن أن يقرب منه شيطان . أى أن الملائكة تحفظ الوحى من استراق الشياطين والإلقاء إلى الكهنة .

ولو أن هؤلاء المفسرين فسروا الرسول فى « من رسول » بأنه الرسول [1] على المعنى المجازى ، لاستقام لهم المعنى . لأن « يسلك »

(١) معرفة اللفظ على الحقيقة وعلى المجاز يؤدى إلى الفهم الصحيح فى الدين . ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى : « ومن شر النفاثات فى العقد » فإن النفث على الحقيقة هو النفخ مع ريق ، على خيط والنفث على المجاز هو كناية عن الحيل التى تعملها النساء من أجل إغواء الرجال . والمعنى الحقيقى ممتنع وغير مراد ، لأن السحر لا حقيقة له ولا تأثير . والمعنى المجازى هو المراد ومعنى الآية : إن النساء لأجل كثرة حبهن فى قلوب الرجال يتصرفن فى الرجال ، أى يحولنهم من رأى إلى رأى ، ومن عزيمة إلى عزيمة ، ولذلك أمر الله رسوله بالتعوذ من شرهن ، كقوله « إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم » وفى تفسير فخر الدين الرازى أن « أبا مسلم » فسر « النفاثات » بالنساء « فى العقد » أى فى عزائم الرجال وآرائهم . وهو مستعار من عقد الحبال

فعل مضارع يفيد التجدد والحدوث ، والرسالة الحقيقية انقطعت بمحمد صلى الله عليه وسلم . وبيان ذلك : أن كلمة « الرسول » تطلق حقيقة على الرسول المصطفى من الله ، وتطلق مجازا على المبلغ رسالة من إنسان إلى إنسان .

ولأن كلمة الرسول تصح حقيقة ومجازا على ما قلنا ، عبر الله عن محمد صلى الله عليه وسلم بأنه خاتم النبيين على الحقيقة : ولم يعبر عنه بخاتم المرسلين . لأنه خاتم المرسلين على الحقيقة ، ولأن علماء أمته رسل إلى الناس من بعده على سنته ورسالته . كما عبر عن معاذ بن جبل رضى الله عنه لما أرسله إلى اليمن بأنه « رسول رسول الله » ولأن الله يرسل ملائكته بما يريده فى العالم كما قال تعالى : ﴿ **الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس** ﴾ ذلك لأن « يصطفى » يفيد دوام الاصطفاء من الملائكة والناس .

فالرسول فى هاتين الآيتين هو بالمعنى المجازى ، والمعنى : إذا أراد الله تعالى إظهار حادثة معينه فى بلد من البلاد ، فإنه يختار إنسانا ويلقى فى روعة تصور ما سيحدثه ، حتى يظن أنه ممكن الحدوث . ثم يقوى عزيمته لينطق أمام الناس بأنه من الممكن أن يحدث كذا ، وهو أمر مؤكد . ثم يقول : والقرائن الدالة على حدوثه هى كذا وكذا ؛ ويخبر بما ألقاه الله فى روعه وقواه فى تصوره . وهذه القرائن هى الرصد . ومثل ذلك : أن امرأة من « بغداد » ادعت حدوث غيب فى عهد السلطان « سنجر » ابن ملك شاه فنقلها من بغداد إلى خراسان ،

وقوله تعالى : « ومن شر حاسد إذا حسد » لايدل على أن الحسد بالعين . أى بنظر الحاسد إلى محسوده بعينه فيؤذيه . وإنما يدل على كيد الحاسد للمحسود كأن ينظر إنسان إلى نعمة عند صاحب له ، ويتكثرها عليه . فيوقعه فى مشاكل ، ويشور عليه بمشورات تضره ، ويوقع بينه وبين الناس ، حتى يضيق خلقه وينفق امواله ويفتقر وقد أمر الله بالتعوذ من الحاسد ، كيد الأشرار والمنافقين ومن الغاسق إذا وقب ، أى الليل إذ دخل ظلامه ، لأن الاشرار يعلمون فى الظلام

وسألها عن ما أنبأت به . والشيخ « أبو البركات » فى كتابه « المعتبر » قال عنها : « لقد تفحصت عن حالها مدة ثلاثين سنة ، حتى تيقنت أنها كانت تخبر عن المغيبات إخبارا مطابقا » وقال عنها الإمام فخر الدين الرازى فى تفسير سورة الجن : « وأنا قد رأيت أن محققين فى علوم الكلام والحكمة ، حكوا عنها أنها أخبرت عن الأشياء الغائبة إخبارا على سبيل التفصيل ، وجاءت تلك الوقائع على وفق خبرها [١] » أ هـ .

فالمرأة البغدادية هذه ليست رسولا على المعنى الحقيقى من الرسول . لأن الله يقول : ﴿ وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا ﴾ أى لا رسول حقيقى من النساء . وإنما هى « رسولة » على المعنى المجازى ، أى اصطفاها الله فى ذلك الوقت لتخبر عن وقوع حادثة ستحدث . وقوى الحادثة ووقوعها فى روعها ، حتى ملك بالتقوية عليها كل حواسها . وأنبأت بما فاض فى قلبها عن هذه الحادثة ، علامة على وجود الله العالم بما كان وبما يكون ، والقادر على كل شيء . وهذا يحدث كثيرا فى أكثر البلاد . ولذلك يقول الإمام فخر الدين : « فالقول بأن القرآن يدل على خلافه مما يجر إلى الطعن فى القرآن » أ هـ .

والفرق بين إنباء الرسول الحقيقى . وانباء الرسول على المعنى المجازى : هو أن خبر الرسول الحقيقى مؤكد وواضح وخبر الرسول على المعنى المجازى هو غير واضح . لأنه عبر فى جانبه بقوله : ﴿ يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ﴾ أى يعطى إشارات وقرائن أحوال للدلالة . أما الرسول الحقيقى فإنه لا يعطى إشارات وقرائن ، وإنما يقول كلاما واضحا وصريحا فى ما سيحدث من مستقبل الزمان . كقول الرسول صلى الله عليه وسلم : ﴿ غلبت الروم فى أدنى الأرض ، وهم

---

(١) التفسير الكبير لفخر الدين الرازى - سورة الجن والمعتبر لأبى البركات البغدادى

من بعد غلبهم سيغلبون . فى بضع سنين . لله الأمر من قبل ومن بعد . ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم . وعد الله لا يخلف الله وعده ﴾ .

وليس هذا من قبيل التنجيم ومعرفة الطالع والضرب بالحصى وما شابه ذلك . بل هذه حادثة أراد الله حدوثها ﴿ ليعلم أن قد أبلغو رسالات ربهم ، وأحاط بما لديهم ، وأحصى كل شيء عددا ﴾ ولما أراد حدوثها اختار من الناس من ينهض بالإنباء عنها . أما المنجم فإنه يدعى أنه صاحب صناعة ومعرفة . وتكلم الناس بما يحدث لهم أما عن طريق الفراسة . والفراسة قد تصيب وقد تخيب وأما عن طريق الشيطان الذى يلازمه . ولذلك نهى العلماء الناس عن السماع للمنجمين ، وأفتوا بحل دمائهم ، لكذبهم ولأكلهم أموال الناس بالباطل .

يقول الإمام القرطبى فى تفسير سورة الجن : « وليس المنجم ومن ضاهاه ممن يضرب بالحصى ، وينظر فى الكتب ، ويزجر بالطير ، ممن ارتضاه من رسول ، فيطلعه على مايشاء من غيبه . بل هو كافر بالله ، مفتر عليه بحدسه وتخمينه وكذبه .

قال بعض العلماء : وليت شعرى مايقول المنجم فى سفينة ركب فيها ألف إنسان على اختلاف أحوالهم وتباين رتبهم . فيهم الملك والسوقة والعالم والجاهل والغنى والفقير ، والكبير والصغير ، مع اختلاف طوالعهم وتباين مواليدهم ودرجات نجومهم . فعمهم حكم الغرق فى ساعة واحدة ؟ فإن قال المنجم قبحه الله : إنما أغرقهم الطالع الذى ركبوا فيه ، فيكون على مقتضى ذلك : أن هذا الطالع أبطل أحكام تلك الطوالع كلها . على اختلافها عند ولادة كل واحد منهم ، وما يقتضيه طالعه المخصوص به . فلا فائدة أبدا فى عمل المواليد ، ولا دلالة فيها على شقى وسعيد ، ولم يبق إلا معاندة القرآن العظيم . وفيه استحلال دمه على هذا التنجيم . ولقد أحسن الشاعر حيث قال :

حكم المنجم أن طالع مولدى ∴ يقضى على بميتة الغرق
قل للمنجم صبحة الطوفان ∴ قل للمنجم صبحة الطوفان

■ ثانيا : الطلاسم

كانت الأمم البدائية تعتقد فى السحر . لأنهم ماكانوا يستطيعون تعليل ظواهر الأشياء فى الكون . وأسباب حدوث الرعد والبرق والمطر وما شابه ذلك . وكانت الشياطين تخدعهم بالحيل والتخييلات ، ليصرفوهم عن الله عز وجل إلى عبادة غيره ، رجاء نفعه ، أو اتقاء ضرره .

ففى بردية فى المكتبة الأهلية بباريس - وهى من مخلفات المصريين القدماء - أن ساحرا كان له أعداء ، فصنع تماثيل من شمع وقرأ عليها أدعية وصلوات خاصة ، وذلك لكى يؤذى كل تمثال ، رجلا بنوع مخصوص من الأذى . ولما أثرت فيهم التماثيل بالأذى ، تقدموا بشكوى إلى الملك . فأعدمه الملك أمام الناس فى سوق المدينة . جزاء له على سحره ، وأصدر أمره بمعاقبة السحرة الذين يصرون على عمل السحر .

ولو صحت هذه الرواية فإنها تدل على أن شيطان الساحر ، أطاعه فيما أراد ، ليصد الناس عن عبادة الله عز وجل .

وفى أيام موسى عليه السلام كان فى مدينة تسمى زاييس ، معبد مقدس لعمل السحر ، وكان كهنة المعبد هذا ، يحولون العصى إلى ثعابين بقراءة صلوات خاصة . وكانوا يتصورون أن الثعابين التى تزحف على الأرض ماهى إلا شياطين تظهر على الأرض بعد إلقاء العصى على الأرض وقراءة الصلوات عليها لتتحول . وجاء فى كتب المصريين القدماء أن مدينة زاييس ، وهى مدينة صان الحجر فى محافظة الشرقية اليوم ، كان فيها موسى عليه السلام قبل هجرته إلى أرض مدين ، وأن معجزته كانت من نفس معجزة السحرة فى هذه المدينة .

غير أنه غلب السحرة بسحره ، إذا أن عصاه لما ألقيت على الأرض ، وتحولت إلى ثعبان من لحم ودم ، ابتلع ثعبانه ثعابين السحرة .

وهذه الرواية المصرية القديمة ، تعترف بأن سحرة فرعون لما ألقوا الحبال والعصى ، انقلبت إلى ثعابين من لحم ودم . والقرآن الكريم يقول : إنها لم تنقلب إلى لحم ودم ، بل خيل للرائين والمشاهدين أنها انقلبت ، وفى الحقيقة أنها لم تنقلب . واتفقت الرواية المصرية مع القرآن فى أن موسى هو الذى غلب . وقال فرعون كما حكى القرآن للسحرة : ﴿ إنه لكبيركم الذى علمكم السحر ﴾ ولئن صح ما حكاه المصريون القدماء من انقلاب الشياطين إلى أفاعى عند تعزيم الساحر ورقاه ، وما حكوه عن هزيمة سحرة فرعون . فإن الشياطين تكون قد منعت بقوة الله ، أمام موسى لتتأكد نبوته .

وفى بردية (وستكار) ويقولون إنها من الأسرة الخامسة عند المصريين القدماء أن كاهنا اسمه (جـدى) فى معبد هليوبوليس ، فصل رءوس طيور عن أجسامها ووضع فى كل ركن من أركان القاعة رأسا ، ثم قرأ أدعية خاصة فسعت الرءوس إلى أجسادها ، وصحت الطيور ، وحلقت فى الهواء . ويقال : إن إبراهيم عليه السلام رأى هذا المعبد أثناء زيارته لمصر .

وهذه الرواية هى من خيال الراوى . فإن المصريين القدماء توسعوا فى سرد روايات من هذا القبيل . ومن هذه الروايات أنه فى بردية لوستكار أن الملك سنفرو خرج للنزهة مع الأميرة مروى . وأنهما ركبا سفينة فى بحيرة مليئة بالمياه وركب معهما عشرون جارية حسناء وكل جارية تستر نفسها بستر رقيق من شباك الصيد ، ولما فقدت الأميرة قرطها فى الماء ، تشاءمت ، ولذلك طلب الملك ساحرا يدعى جاجام عنج من معبد آمون . ليشق الماء ويحضر القرط . ففعل الساحر كما طلب منه الملك وأحضر القرط للملكة .

وعلى ماشاع فى الأمم البدائية القديمة ، ادعى اليهود فى بابل أن السحر له تأثير فى أجساد الناس ، وأدعوا أن للنجوم والشمس والقمر مواعيد . ولهذه المواعيد أدعية ورقى وعزائم ، وبها يكون السعد والنحس . وشغلوا الناس بهذه الأفكار ، وذلك ليأكلوا بها فريقا من أموال الناس بالإثم .

وقسم بعضهم السحر إلى أنواع :

١ ـ سحر الكلدانيين عبدة الكواكب .

٢ ـ سحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية

٣ ـ الاستعانة بالأرواح الأرضية وهى أرواح الشياطين .

٤ ـ التخيلات والأخذ بالعيون كفعل الحواة .

٥ ـ الاستعانة بخواص الأدوية .

٦ ـ الأعمال العجيبة التى تظهر من تركيب الآلات المتركبة على نسب هندسية ، وعلى ضروب من التخيلات .

٧ ـ تعليق القلب بالوهم .

٨ ـ السعى بالنميمة والتضريب .

وقسمه البعض إلى الخداع والوهم . أو استجلاب معاونة الشيطان . أو ما كان بتغيير الصورة التى خلقها الله إلى صورة غيرها بفعل الرقى والعزائم .

وشاع فى العالم ما ابتدعه اليهود عن تأثير الكواكب فى حياة الناس ، لدرجة أن العقلاء من الناس قالوا : لا نكذب حتى نجرب . وسهروا الليالى فى مراقبة النجوم ، وحساب الطوالع . وما ظفروا من التجربة إلا بالخيبة والتحسر على ماضاع من العمر فى غير فائدة .

وعلماء المسلمين ترجموا الكتب إلى اللغة العربية من اليونانية والعبرانية والسريانية وسائر اللغات القديمة . ولكثرة الكتب المؤلفة فى السحر والطلاسم ، اعتقد بعضهم أن للسحر أصل وللطلاسم أصل .

وقال بعضهم : كيف يكون للسحر أصل وللطلاسم أصل . والشرائع تنهى عنها ؟ وقد قال على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم الله وجهه : « ياأيها الناس إياكم وتعلم النجوم إلا ما تهتدون به فى ظلمات البر والبحر . وإنما المنجم كالساحر ، والساحر كالكافر ، والكافر فى النار [١] » .

وقال بعض العلماء : لماذا لا نجرب مافى هذه الكتب ؟ وانشغلوا بالتبخير فى ساعات معلومة ، وتلاوة العزائم بنغمات معينة ، وراقبوا طلوع نجم ، وأفول نجم . ولما لم يجدوا شيئا ينفع ؛ صرحوا فى الكتب بأننا جمعنا ما كتبه الأقدمون ، وكنا نعتقد أن فيه فوائد . وعند التجربة ما وجدنا من فوائد . وننصح بعدم الاشتغال فيه . فما فيه شىء يعتبر . ففخر الدين الرازى ، محمد بن عمر قال فى كتابه المسمى بالمطالب العالية من العلم الإلهى ، فى كتاب النبوات وما يتعلق بها ما نصه : « اعلم : أنا مارأينا إنسانا عنده من هذا العلم شىء معتبر ، وما رأينا كتابا مشتملا على أصول معتبرة فى هذا الباب [٢] » أ هـ

والإمام فخر الدين الرازى ، أنكر مافى كتب الطلاسم وطوالع النجوم ، ولم ينكر أن النبى صلى الله عليه وسلم سحر على يد « لبيد بن أعصم اليهودى » وذلك فى قوله : « فالله تعالى ما كان يسلط عليه ، لا شيطانا ولا إنسيا ولا جنيا يؤذيه فى دينه وشرعه ونبوته . فأما الإضرار ببدنه فلا يبعد » مع أنه قال : إن المعتزلة والقاضى أنكروا رواية سحر لبيد بن أعصم للنبى صلى الله عليه وسلم . وقال القاضى : هذه الرواية باطلة . وكيف يمكن القول بصحتها والله تعالى يقول : « والله يعصمك من الناس » وقال : « ولا يفلح الساحر حيث أتى » ولأن تجويز سحر الرسول يفضى إلى القدح فى نبوته ، ولأنه لو صح ذلك لكان من

---

(١) صـ ٢٩ ج ١٩ تفسير القرطبى
(٢) المطالب العالية من العلم الالهى ـ لفخر الدين الرازى

الواجب أن يصلوا إلى الضرر لجميع الأنبياء والصالحين ، ولقدروا على تحصيل الملك العظيم لأنفسهم . وكل ذلك باطل . ولأن الكفار كانوا يعيرونه بأنه مسحور . فلو وقعت هذه الواقعة ، لكان الكفار صادقين فى تلك الدعوى ، ولحصل فيه ذلك العيب . ومعلوم أن ذلك غير جائز

وهذه الحجج هى التى رد بها الامام الشيخ محمد عبده ، على القائلين بأن النبى قد سحر . *

وقد رد الإمام الشيخ محمد عبده : على فخر الدين قوله إن الاضرار ببدن النبى لا يستبعد ، بقوله : إن السحر ـ لو صحت له حقيقة ـ لكان مسا بالعقل ، وآخذا بالروح . وهذا ـ لو صح ـ يؤدى إلى الشك فى القرآن . والحديث ـ على فرض صحته ـ حديث آحاد ، لا يؤخذ به فى العقائد

والحق ما قاله الإمام الشيخ محمد عبده . وما قاله الذين ردّوا سحر النبى صلى الله عله وسلم وقد ألهمهم الله تعالى برد سحر النبى صلى الله عليه وسلم ، ليرد كيد اليهود إلى نحورهم ، فإنهم هم الذين أشاعوا روايات سحره ؛ ليتوصلوا بها إلى الطعن فى النبوة .

كما أشاعوا روايات تطعن فى القرآن الكريم ، وألهم الله تعالى من اختارهم من أوليائه ليردوها ويبطلوها . ومن هذه الروايات : روايات حديث الغرانيق فقد أخرج ابن أبى حاتم من طريق موسى بنى عقبة عن ابن شهاب ، قال : أنزلت سورة النجم . وكان المشركون يقولون : لو كان هذا الرجل يذكر آلهتنا بخير أقررناه وأصحابه ، ولكنه لا يذكر من خالف دينه من اليهود والنصارى ، بمثل الذى يذكر آلهتنا من الشتم والشر ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اشتد عليه مانااله من أذاهم وتكذيبهم وأحزنه ضلالتهم ، فكان يتمنى هداهم ، فلما أنزل

الله تعالى سورة النجم . قال : ﴿ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ﴾ ألقى الشيطان عندها كلمات . فقال : وإنهن لنن الغرانيق العلى ، وإنْ شفاعتهن لهى التى ترتجى . وكان ذلك من سجع الشيطان وفتنته . فوقعت هاتان الكلمتان فى قلب كل مشرك بـ « مكة » وزلت بهما ألسنتهم وتباشروا بهما .

وقالوا : إن محمدا قد رجع إلى دينه الأول ودين قومه . فلما بلغ رسول الله صى الله عليه وسلم آخر النجم سجد ، وسجد كل من حضر من مسلم أو مشرك ، ففشت تلك الكلمة فى الناس وأظهرها الشيطان ، حتى بلغت أرض الحبشة . فأنزل الله تعالى : « **وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى . ألقى الشيطان فى أمنيته . فينسخ الله مايلقى الشيطان ، ثم يحكم الله آياته . والله عليم حكيم** » .

وقيل : إن النبى صلى الله عليه وسلم حين ألقاها الشيطان ، تكلم بها ظانا أنها وحى ، حتى نبهه جبريل عليه السلام . ففى « الدر المنثور » أخرى ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم ، بسند صحيح عن سعيد بن جبير ، قال : قرأ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة ، النجم . فلما بلغ ﴿ **أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى** ﴾ ألقى الشيطان على لسانه : تلك الغرانيق العلى ، وإن شفاعهن لترتجى . قالوا : ماذكر آلهتنا بخير قبل اليوم ، فسجد وسجدوا ، ثم جاءه جبريل عليهما الصلاة والسلام بعد ذلك . فقال : اعرض على ماجئتك به ، فلما بلغ تلك الغرانيق العلى ، وأن شفاعتهن لترتجى . قال له جبريل ـ عليهما السلام ـ لم آتك بهذا . هذا من الشيطان . فأنزل الله تعالى : « وما أرسلنا » الآية .

وروى البخارى وسلم وأبو داود والنسائى وغيرهم عن ابن مسعود : ان النبى صلى الله عليه وسلم قرأ « والنجم » فسجد فيها ، وسجد كل

من كان معه ، غير أن شيخا [١] من قريش ، أخذ كفا من حصى أو تراب ، ورفعه إلى جبهته ، وقال : يكفينى هذا . وروى البخارى أيضا والترمذى عن ابن عباس أن رسول الله صلى عليه وسلم سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس . إلى غير ذلك .

هذا مختصر ما يقال فى قصة الغرانيق . وقد عقب عليه الإمام الآلوسى البغدادى فى تفسير سورة الحج بقوله :

وقد أنكر كثير من المحققين هذه القصة . فقال البيهقى : هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل . وقال القاضى عياض فى الشفاء : يكفيك فى توهين هذا الحديث أنه لم يخرجه أحد من أهل الصحة ، ولا رواه ثقة بسند صحيح سليم متصل . وفى « البحر » أن هذه القصة سئل عنها الامام محمد بن اسحق ، جامع السيرة النبوية ، فقال : هذا من وضع الزنادقة . وقال الشيخ أبو منصور الماتريدى : إن قوله تلك الغرانيق العلى ؛ من حملة إيحاء الشيطان إلى أوليائه من الزنادقة ، حتى يلقوا بين الضعفاء وأرقاء الدين ، ليرتابوا فى صحة الدين ، وحضرة الرسالة بريئة من مثل هذه الرواية .

وقال الامام القرطبى : إن ما حكى من أن الشيطان أكره النبى صلى الله عليه وسلم حتى قال . فهو محال . إذ ليس للشيطان قدرة على سلب الانسان الاختيار . قال الله تعالى مخبرا عنه : « وماكان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى » ولو كان للشيطان هذه القدرة ، لما بقى لأحد من بنى آدم قوة فى طاعة .

ونختم هذا الكتاب بهذا الدعاء الذى روته عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم وهو « اللهم رب السموات السبع ورب العرش

---

(١) جاء فى رواية البحارى انه أميه بن خلف وفى رواية الواقدى أنه لوليد بن الغيرة ويقال ـ كما فى تفسير القرطبى ـ إنه سعيد بن العاص

١١٠

العظيم . ربنا ورب كل شيء . منزل التوراة والإنجيل والقرآن . فالق الحب والنوى . أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ مناصيته . أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء ، اقض عنى الدين ، وأغننى من الفقر» [رواه الحاكم]

خاتمة الكتاب

خلاصة ما أثبتناه :

١ - أن القرآن الكريم لا يثبت لعلم السحر أصولا ولا قواعد .
ولا يقر بحقيقه للسحر ولا تأثير . فلقد :

أ - نفى إشاعة هاروت وماروت ، وبين أنهما لم ينزلا من السماء ولم يعلما أحدا .

ب - وأن سحر سحرة آل فرعون كان سحرا متخيلا كصنعة الحواة . وأما سحر موسي عليه السلام فقد كان سحرا حقيقيا، لتثبت نبوته فإنه كان يرمى العصا فتصير ثعبانا من لحم ودم ، ولا يخيل للرائى أنها انقلبت . كسحر السحرة ، بل تحولت العصا إلى ثعبان يتحرك ويمشى .

٢ - وكتب السحر المتداولة هى من صنع علماء اليهود وهى كتب عديمة القيمة ويجب أن تحرق أو تتلف . وترد على أصحابها .

٣ - وأن تسخير الشياطين فى جلب نفع أو منع ضرر ، بواسطة العزائم والرقى ، أمر ممنوع ومحرم فى الشريعة ، وفاعله والمعتقد فيه مطرود من رحمة الله تعالى ، وما له فى الآخرة من خلاق . وعلى أولياء الأمور أن يعاقبوا الفاعلين ، بعقوبة التعزير وهى الحبس او الضرب أو التغريم بالمال وحث الناس على الابتعاد عنهم حتى يتوبوا .

٤ - وأن الشياطين تؤثر فى حياة الناس إما بالوسوسة الخفية وإما بالظهور العلنى . وفى هذه الحالة ينبغى أن يعالج الإنسان

نفسه بذكر الله وبالصبر والصلاة ولا ينبغى له أن يذهب إلى أى فرد من الناس ليستعين به على ذهاب الشيطان ومنع ضرره ، بل يقرأ ﴿ أعوذ برب الفلق من شر ما خلق . ومن شر غاسق إذا وقب . ومن شر النفاثات فى العقد . ومن شر حاسد إذا حسد ﴾ ﴿ أعوذ برب الناس ملك الناس ، إله الناس من شر الوسواس الخناس ، الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس ﴾ وما شابه ذلك من الدعوات . والله أعلم .

[تم كتاب علم السحر بين المسلمين وأهل الكتاب]

وكان الفراغ من تأليفه فى شهر شوال سنة ألف وثلثمائة وستة وتسعين الموافق أكتوبر سنة ست وسبعين وتسعمائة وألف .

صححه وراجعه
محمد حجازى أحمد السقا

الفهرس

رقم الايداع / ٢٦٥٢ / ١٩٨٩




الناشر
مكتبة الثقافة الدينية